صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الثالث



العدد الخامس
من
السنة الثالثة

مايو سنة ١٩٣٤

سير الحوادث

المحاكم المختلطة

نشبت فى الشهر الماضى مشكلة جديدة فى المحاكم المختلطة ، الاصل فيها هو عبدالسلام ذهنى بك . وهو رجل معروف بتعمقه فى الدرس ، وله مؤلفات يوثق بها فى فقه القوانين فانه أصر علي حقه في إصدار الاحكام باللغة العربية ، فوجد معارضة من الرياسة مع أن الديكريت الذى أنشئت بموجبه هذه المحاكم ينص على استعمال اللغة العربية بين لغات هذه المحاكم البابلية

وقد جاءت هذه المشكلة عقب مشكلة أخرى هى حق القاضى المصرى فى رياسة الجلسات وقد سويت تسوية وقتية ولكنها لابد ناشبة بعد وقت قريب

واعتقادنا أن المفاوضات والرجوع إلى ما تنص عنه الاتفاقيات كله عبث . والطريق الوحيد أمامنا هو الغاء هذه المحاكم ، ولا يمكن الدول صواحب الامتيازات أن تتفق على اجبارنا باعادتها . وعندنا طريقان للالغاء . فاما أن ترفض الحكومة تجديدها واما أن يرفض البرلمان وهو ينظر فى الميزانية ، تخصيص شىء لنفقاتها

الفضائح

بأموال الدولة مدة وزارة اسماعيل صدقى باشا . فبعد حوادث الكورنيش ظهرت حوادث الاستبدالات . فاتضح منها أن طائفة من كبار الموظفين استغلوا سلطانهم لانتهاب أرض الحكومة أو للحصول عليها بما دون ثمنها . وقد عينت لجنة فرعية للتحقيق يرأسها رجل نزيه هو محمود حسن بك . ويجب أن تعرف هذه اللجنة ان كرامة الامة قد جرحت من هذه الحوادث ، ولذلك يجب الكشف عن جميع المذنبين بلا هوادة أو تسامح . ونحن عرضة فى كل وقت — ما دمنا لم نتفق مع الانجليز — لأن يتولى أمورنا رجل مثل اسماعيل صدقى باشا . فاذا لم نطهر الادارة المصرية من مثل أولئك الذين نهبوا أموالنا فى حادثتى الكورنيش والاستبدالات ، فان الفساد يفشو فى جميع المصالح ويصعب عندئذ معالجته . وهناك من يقول بأنه قد فشا فى كثير من المصالح . فاذا كانت الحال كذلك فانها أدعى الي زيادة الدقة والصرامة فى التحقيقات

السودان

ألقى رئيس الغرفة التجارية فى الخرطوم خطبة أثبت فيها ثلاثة أشياء :

الأول : ان مشروع رى الجزيرة قد بلغت تكاليفه نحو ١١ ونصف مليون جنيه وأن الحكومة السودانية مثقلة الآن بتسديد فوائده واستهلاكه مع أنها لا تنتفع كثيراً بزراعة القطن فى الجزيرة

والثاني : إن إخراج الجيش المصرى من السودان قد أخسره نحو مليون جنيه كل عام كانت تنفق فيه فتروج أحواله ويعم الرخاء بلاده

والثالث : ان الخطة التى اتبعتها الحكومة السودانية فى مقاطعة المصريين واخراج الموظفين المصريين من السودان ومنع هجرة المصريين اليه قد زادت العسر والضنك فى السودان

هذا هو ما يقوله رئيس الغرفة التجارية فى الخرطوم . والفاقة تعم السودان الآن . ولولا أن الحكومة المصرية ترسل اليه كل عام ٧٥٠٠٠٠ جنيه لما استطاع الانجليز أن يبقوا فيه . وقد اضطروا للاقتصاد الى الغاء النظام القضائى الراقى وأقاموا مكانه نظاما قائماً على العرف القروى أو القبيلي . وهذا تأخر واضح لجأوا اليه لكى يسددوا ما جر

العرب جميعهم أن يعود الحجاز الى استقلاله وأن يعود الوهابيون الى صحرائهم وباديتهم فى نجد والغريب فى ابن السعود انه يكره المصريين فلا يعين منهم واحداً فى حكومته مع انه يعين السوريين

فى الخارج

لا تزال أحوال العالم تدعو الى التشاؤم . فان فرنسا تغلى بالسخط على الحكومة وأمامها ثلاثة أبواب تؤدى الى الشيوعية أو الفاشية أو الملوكية . وهى تعاني ألواناً من الشقاء لالتزامها الذهب بعد أن تركته معظم الامم

أما الولايات المتحدة فيبدو منها اتجاها جديداً نحو التضخيم . فقد نزل الدولار الي نحو نصف قيمة الاصلية ولكن حزب التضخم يريد انزاله أكثر من ذلك . وهو مصيب فى هذا النظر . فان أزمة العالم يمكن أن يحل جزء كبير منها بالتضخم

وانتهزت اليابان فرصة ارتباك أوربا وأمريكا فأعلنت فى لغة بين الابهام والوضوح انها ترغب فى تطبيق مبدأ منرو على الصين . فكما أنه لا يجوز لدولة أوربية أن تتدخل فى شئون إحدى الدول الامريكية كذلك لا يجوز لدول العالم كله أن يتدخلن فى شئون الصين لان هـذا حق اليابان وحدها . وليس من المعقول أن تسكت روسيا والولايات المتحدة على توغل اليابان فى الصين

الشهر الآتى

فى الشهر الآتي ندخل تنقيحاً عظيما فى شكل هذه المجلة من حيث القطع والورق والتحرير بحيث يجد فيها القراء كل ما يتفق مع الرقى الصحفى الحديث مع المحافظة على روح الجد والخدمة العامة . وسيبقى ثمنها واشتراكها كما هما

كلمات عن تنشئة المرأة

بقـــلم الآنسة مى

من المأثور عن نابوليون قوله إن تهذيب الطفل يجب أن يبدأ قبل ولادته بثلاثين عاماً
صدق نابوليون العليم بالفطرة البشرية ! يبدأ تهذيب الرجل التهذيب الحق حتى قبل
ولادة أمه !

* * *

لا يهمنى أن أراك، يا هذا ، ولا يعنينى من أمر أبيك شىء . ولـكن أرني أمك (ليس
فى المراسيم الاجتماعية بل فى صميم معانى حياتها) ، أرني أمك أقل لك من أنت ومن
تستطيع أن تكون

* * *

أنتم الذين يسخطـكم شىء كثير مما يبدو اليوم فى العالم ويستدعى تشاؤمكم ما ترونه
من تشوه الخلق فى عديد من الناس . هلا ذكرتم كيف كانت المرأة التى انشأت هذا الناس
طيلة القرون الغابرة ؟ وإذا ذكرتم حال الأم من قبل ، أفتعجبون لحال الابن الآن ؟

* * *

الرجل سياج المرأة — يقول المثـل السائر . وهذا صحيح : الرجـل سياج حسى
للمرأة . ولـكن هـذا الرجل القوى ليس له من سياج أدبي غير تلك المرأة الضعيفة .
فانظروا فى سياجكم كيف تريدون أن يكون !

* * *

يصيحون : علموا المرأة لتستنير . علموها لتكون حرة . علموها لتشعر بكرامتها
كـكائن انساني . علموها لتتعرف حقوقها فتخرج مسلحة بها الى ميدان الحياة الفسيح
وأنا أقول : علموا المرأة ليكون لها شرف الرجوع الى داخل المنزل . ففى داخـل

داخل المنزل ميدان الحياة الفياح والمعمل الأعظم الذى يذيع النور فى بني الانسان . أن المرأة لا تدرك عظمة المنزل — سواء أكان قصراً أم كوخاً — ولا تقدر أهميته وعذوبته ومبلغ تأثيرها فيه فتلك امرأة جاهلة ولو هي فازت بنصف دستة من الشهادات الدنيا والعليا والتى هى بين بين !

علموا المرأة لترجع الى داخل المنزل فتكيفه علي ما يجب أن يكون . فكما يكون منزل القوم كذلك يكون وطنهم الحسى والأدبي

***

يقولون : يجب أن تنال المرأة حق الانتخاب والتمثيل فى البرلمانات لتسمع البلاد صوتها وتشترك مع الرجل فى سن القوانين ... وهل صوت الرجل الآن فى البرلمان وفى غيره إلا صدى صوت المرأة فى البيت . . ؟

***

لهفى على مجتمع يحسب أن فضيلة المرأة وصيانتها وكرامتها كلها رهينة الجدران التى تفرض عليها فرضاً !

***

لا أطلب للمرأة المساواة بالرجل ، لاعتقادى أنها تفوقه سمواً بقلبها . والنظريات التى ترمي الى تسويتها بالرجل تحول حتما بينها وبين عالمها الخاص الذى به — به وحده — تظل محلقة فوق كل أفق يستطيع الرجل فى جده وعبقريته أن يبلغه . فالمساواة هبوط لها ، لا صعود

***

الوطنية عاطفة جميلة انسانية شريفة حضّانة ، وهي عند المرأة أسمى ما تكون من حيث هى شعور وإلهام وحب وسعى . وما السياسة إلا بعض أدوات الوطنية . وكم يتفق أن تكون هذه الأداة سيئة !

***

صالحة ، كثيراً ما تكون مخاتلة غادرة كاذبة مغرضة متبذلة مماحكة مهاجمة جانية. فكيف أوفق بين كل هذا وبين ما أعتقده وأريده للمرأة من نبل وسمو ؟

* * *

ابعدوا بين المرأة وبين الاشتغال بالسياسة إذا شئتم أن تنمو فى المرأة صفاتها الجميلة — تلك الصفات التى للرجل أن يتناساها وينصرف عنها عند الضرورة ، ما دام مطمئناً إلى أنها الوديعة الانسانية الكبرى المدخرة فى قلب المرأة وفى حياتها

* * *

يتبين أن الغرض من التعليم هو تمكين كل منا ، رجلا كان أم امرأة ، من فتح باب نفسه والاهتداء إلى ممكناته الخاصة وإلى الطريقة المثلى للتصرف فيها لخيره وخير محيطه

ولكن مما يؤسف له أن أكثر صنوف التعليم رواجاً الى الآن هى : إما صنف يفرض فرضاً عند المتعلم ممكنات واستعدادات قد تكون موجودة، وقد يكون الموجود مناقضاً لها تماماً . وأما صنف يكسر الباب كسراً فينفر ماوراءه من الممكنات والمواهب فيكون جانياً عليها . وأما صنف يدع الباب مغلقاً فينصرف إلى تنظيفه وغسله و «ورنشته» وتلميعه . ثم يرسم عليه أشكالا شتى مما يسميه دروسا . ثم يدق فى أعالى الباب مسماراً يعلق عليه دبلوماً ولقباً وروباً وقلنسوة علمية . وهذا هو بحق الجهل المطبق مدبلماً، ملقباً، « مروباً » مقلنساً . . . والسلام !

* * *

من أفكه مايفكهنا فى هذه الآونة طلب بعضهم التعليم كل التعليم للفتى وللفتاة ليخرج (انتبهوا الي هذا الذى سيخرج !) ، ليخرج من بين النساء ومن بين جماهير الموهوبين والعباقرة والنوابغ والأفذاذ . . . آه ، يا دماغي ! لو كان التعليم هو الذى « يخلق » هؤلاء الناس ! . . .

يا أمجد ، يا عزيزتى ، يا أمل البائسين واليائسين ! ما أشد حاجتنا اليك ، لو علمت ! ألا علمينا بادىء ذى بدء معانى الألفاظ !

مجلة التربية الحديثة

حكم الغريزة فى الفنون والآداب

للاستاذ ابراهيم المصرى

إن الاديب المتفوق هو الذي فى وسعه أن ينقذ روحه من طغيان عقله وأن يحتفظ بقلبه ناضراً كقلب الطفل . متقلباً متلوناً كقلب المرأة . أما ذلك الذى يؤثر العقل المجرد فلا بد أن تجف ينابيع نفسه ويستحيل أدبه الى صور وأشكال هندسية رياضية هى أقرب الي العلم منها الى الأدب . والحقيقة أن الحياة إحساس وإدراك ، فهل يجب على الأديب أن يحس الحياة بقلبه وأن يدرك أسرارها بعقله أم يكفيه منها حبه لها وإحساسه القوى بها كى يبدع أعمالا فنية خليقة بالبقاء ؟ مما لا يقبل الشك ان الغريزة البشرية هى الاصل فى جميع الفنون . وأن من أوضح ظواهر الغريزة فى طورها البدائى الساذج تلك الظاهرة التى يمكن أن نسميها الجنون المقدس بالحياة

وهذا الجنون هو الذي يصيب الرجل المتوحش فى فترات متقاربة وهو الذى يحفزه للصياح والقفز والغناء والرقص والقتال . وهو الذى يدفعه الى عبادة النار أو الشمس أو بعض أعضاء جسم الانسان

والرجل المتوحش إنما يفعل كل هذا تنفيساً عن صدره وامتحاناً لعظمته وفرحاً بقوته وتمجيداً لعناصر الطبيعة الابدية التى تكتنفه وتندمج فيه

فهو يشعر إذن بأنه جزء من الطبيعة غير منفصل وكلما كان هـذا الشعور فى نفسه عميقاً كان أدنى الى الغريزة وبالتالى أقرب الى الحياة

وإنه ليخيل إلي أن الاديب المتفوق هو ذلك الذى بقيت فى روحه آثار عديدة من ذلك العهد الهمجى . هو الانسان نصف المتوحش الذى يحس الطبيعة كما يحسها المتوحش تماماً مع الفارق العظيم الذى يوجده بينهما قانون التناسب والتعادل أى قانون الخلق الأدبي والفنى . فالاديب الكبير يطرب لغرائب الكون كما يطرب لها الساذج المتوحش ويضج مثله ويصرخ ويعجب ويهلل . ولكن مايميزه عن المتوحش هو أنه يجن بالحياة ويعرف أنه

مجنون . يمجد العناصر ويدرك السبب فى تمجيده . يعبد الجمال ويعلم حق العلم أنه إنما يؤدى وظيفة من أشق وظائف الحياة والتطور

وأن من يطالع مؤلفات شكسبير أو دستويفسكى أو بلزاك مثلا يشعر بتلك النزعة الوحشية متقدة فيها

فالعواطف جياشة ثائرة والميول متلاحمة متضاربة والآراء مختلطة متزاحمة وصور المرئيات متعاقبة متدفعة وروح الحرية والقوة التى تعرف بها الغريزة شائعة فى تلك الاعمال متفجرة منها كأنما هى رجع صدى الكون المطرد الخلق الدائم التجدد غير الحافل بتلك الذرة السابحة على سطحه وأعنى بها الانسان

كل هذا يتمثل لنا فى مخلفات أولئك العظماء ومنه ندرك أن الاديب العبقري مخلوق حاد الاحساس عاصف الذهن نصف متوحش لا يفكر البتة فى أن يفر من الطبيعة أو يتقيها أو يقاومها بل يجتهد على النقيض فى التقرب إليها والاتصال بها وإشراب نفسه خصائصها إلى حد الفناء المطلق فيها

ونحن انما نتجه بحياتنا فى طريق تخالف الطريق التي يسلكها ذلك العبقرى . فنحن نتقدم وهو يتأخر . نحن نتقدم فى الظاهر فقط . وهو يتراجع فى الظاهر أيضا

نحن نخشى الطبيعة الاصيلة ونحاربها وننشد السيطرة عليها ونبتكر من شتى وسائل التحضر والترف ما يبغضنا فيها ويقصينا عنها ، ولكى نحقق أغراضنا هذه نستخدم العقل والعلم ونخلق الحضارة . أما الاديب الفنان العبقري فيتبرم بالحضارة ويوجس خيفة من العقل والعلم ويرى فيهما قواعد وأوضاعاً تسبغ على الحقائق فتنكرها ولا تحول بين الانسان وبين رؤية جوهر تلك الحقائق الابدى المشترك فحسب بل تحرمه الاحساس الفياض بها والفرح الدافق بمختلف ألوانها أى تحرمه تلك النزعة المتوحشه التى لا حرية ولا قوة ولا شعوراً صادقا بالحياة إلا بها

إذن فنحن نتحضر فنعتقد أننا نتقدم ولكننا نبتعد عن الطبيعة والأديب العبقرى يتوحش فيردنا الى الطبيعة كى يضبط النسبة بين أنظمة حضارتنا ورغبات أرواحنا . وبما أننا جميعاً متساوون أمام الطبيعة نرى الأديب الذى يرجع بنا اليها يشعرنا أبلغ شعور وأعمه بمعنى المساواة الانسانية الخالصة

وقد أستطيع القول أن العقل يخلق الحضارة وينمى قوى المصلحة والكفاح . وأن الادب أو الفن عامة يبعث عهد الغريزة فيخلق المحبة ويوحى بالمساواة

ومن هذه الناحية يمكننا أن نقرر أن الفن يكمل نقص الحضارة . وان حضارة بلا فن كانسان بلا فطرة سمحة أو كقلب متبلد متحجر لا حب فيه ولا أهواء

والفن أو الأدب لا يفضى الى المحبة والمساواة إلا لأنه يستمد عناصره من الفرح ، من النشوة بسحر الكون ومباهجه ، من ذلك الجنون المقدس الذى يستحوذ على كل مخلوق سليم الفطرة حيال غادة رشيقة أو سماء دامية أو غروب شمس فاجع أو يوم ربيعي جميل

وإني لأتساءل أليس الشعر هو دليل الفرح بالحياة وتمجيدها وكذلك سائر الفنون ؟ إننا عند ما نفرح بشخص مثلا ألا يدفعنا الي الفرح به شعورنا بانه يجلب الينا من مميزات شخصيته شيئا طريفاً كنا فى حاجة اليه ؟ ثم ألا نحس ان فرحنا به كلما اشتد ضاعف حبنا له ؟

وهكذا الفن فهو فرح بجوانب عدة من الحياة نحن فى حاجة ماسة اليها ولا يستطيع غير الاديب أوالفنان ان يكشف لناعنها النقاب . وكلما اشتد بنا هذا الفرح زادنا فى الحياة حباً وشجعنا علي العمل فيها وجملها فى عيوننا وأحكم الصلة الغريزية بيننا و بينها

وعليه فلكى يتفوق الاديب ويحقق الغاية التى ذكرنا يجب ان تكون روحه أقوى من عقله و بصيرته أنفذ من فكره وإحساسه أحدمن إحساس سواه وأقرب فى تشوشه وجنونه الى إحساس الانسان المتوحش الفطرى

ومعنى هذا أن الاديب الفذ هو الذى لا تطغى عليه العلوم والمعارف التى نطلق عليها اسم الثقافة والتى تنحدر من العقل وحده بحيث تباعد بينه و بين الطبيعة وترغمه على النظر الى الناس عن طريق العقل وقوانينه الجامدة بدل الاحساس بحقيقتهم وحقيقة الكون عن طريق القلب والعاطفة والبصيرة

ولكن هل يجب أن نستخلص من هذا أن الثقافة مضرة بالأديب الموهوب وأن من الخير العظيم له أن ينبذها ويتعلق بأحساسه المشرق الباطنى فقط ؟

الواقع الذى تؤيده الملاحظة أن العبقرية قد تستغنى عن الثقافة ولكن الثقافة مهما

تضخمت فلا يمكن أن تخنق العبقرية

وهناك طائفة من عظماء رجال الادب والفن أمعنت فى التثقف وطالعت كل شيء ووقفت علي كل شيء فلم يمنعها ذلك من أن تحتفظ بعبقريتها أى بسذاجتها ونضرتها ووحشيتها وقوة بصيرتها وإحساسها

والسر فى هذا أن العبقرى جبل على التشكك فى العقل وعدم الاطمئنان الى الآراء والمذاهب التى يقول بها العقل فهو إن تثقف فلكى يتثبت من وجود الصلة الوثيقة بين ما يوحى به اليه إحساسه وبين ما يقرره العقل . وإلا فهو ينبذ العقل ظهريا ويجاهر بما انتهت اليه بصيرته من حقائق جديدة لا تتفق وأوضاع العقل وتقريراته الشائعة

وإذن فهو متمرد بالسليقة . وما دام يقبل علي الاشياء والاشخاص يحدوه التمرد فلا سبيل الى الثقافة ، مهما اتسعت ، أن تخمد فيه شعور الاستقلال والحرية

على أن تمرد العبقرى هو أيضا ضرب من التوحش يلحمه ولا شك بالطبيعة ويدمجه فى عناصرها الحرة

وصفوة القول أن الفنان الكبير سواء أكان اديبا أم مصورا أم موسيقيا مخلوق غريب الاطوار يعيش بيننا بجسمه أما روحه فتحلق فى الغابات والاحراج وتسرى عليها نفس العوامل التى تسرى هناك على الرجل المتوحش

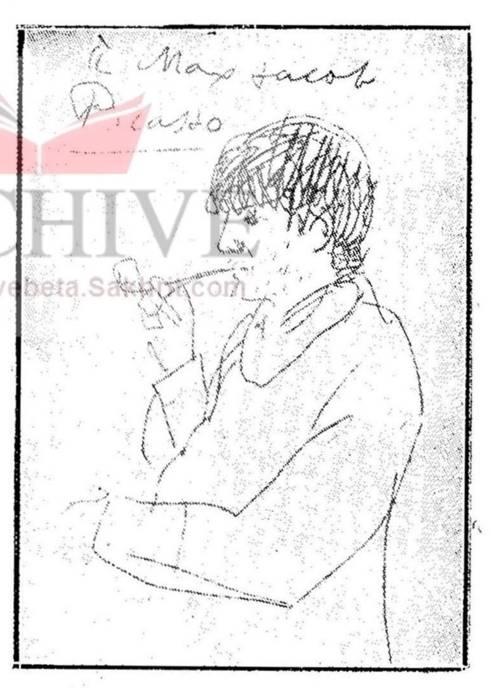
والواجب ألا ندهش نحن من توحش الفنان العبقرى وألا نستنكره أو نسخط عليه لأنه نعمة انسانية كبيرة لا تجود بها الطبيعة الا بين الجيل والجيل

واذا كانت الحياة الجياشة الأصيلة التى تضطرم فى قلب المتوحش هي نفسها التى تضطرم فى قلب العبقرى فانها ولا ريب عظمة لا تعد لها عظمة تلك التى تسمح لهذا العبقرى أن يجمع فى صدره بين أروع خصائص الهمجى أى الشعور القوى بالحياة وأروع خصائص الانسان العاقل أى القدرة الالهية على التعبير الكامل الابدى

بيكاسو ورسومه

اذا سألت عن أحسن رسام فى العالم قيل لك أنه بيكاسو . فأذا سألت عن ميزته ماهى لم يستطع أحد أن يجيبك . وذلك لان بيكاسو قد رسم رسوماً مختلفة تستطيع أى مدرسة أن تنسبها لنفسها . بل هو نفسه قد تغير منذ سنة ١٩١٢ الى الآن وكأن تغيره هذا رمز الى الانقلابات الخطيرة التى حدثت فى الثلاثين من السنين الماضية . فكما تغيرت النظريات الاقتصادية واختلفت مقاييس النقد والاجماع كذلك تغير النظر الى الرسم

وبيكاسو اسباني الأصل ولد فى ملقا سنة ١٨٨١ ونشأ فى برشلونه ثم رحل الى باريس حيث أصبح بفنه ومقامه ينتسب الى الفرنسيين . وهناك عرف التأثريين ولكنه ثار عليهم وأنشأ المدرسة التكعيبية التى تنتسب اليه الآن والتى أثرت أكبر الأثر فى الرسم الحديث بل فى النحت الحديث حتى يستطيع الانسان أن يرى هذا الأثر فى تماثيل مختار



الرسام بيكاسو بريشته

والفرق بين المدرسة التأثرية والمدرسة التكعيبية أن الأولى تنقل الأثر الذهنى لوناً وضوءاً . ولكنها ناقلة على كل حال تنسخ من الأصل. أما المدرسة التكعيبية فتري أن المعول فى الرسم ليس على اللون والضوء وانما هو على الأشكال والاجرام والابعاد فهى لاتنقل ولكنها تفسر وتخترع . فالرسم عندها ليس نقلا ونسخا وانما هو ابتكار

واختراع - أو هي تجعل الرسم جهداً ذهنياً بدلا من أن يكون جهداً خيالياً فالرسام يفكر أكثر مما يتخيل



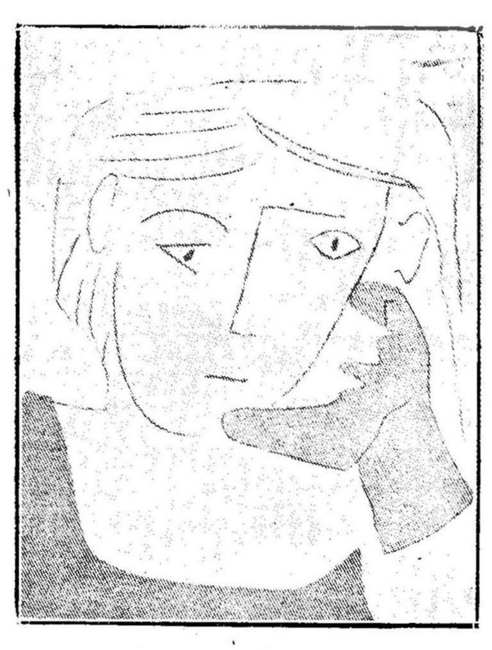
رأس

ولا يقول بيكاسو بأن الرسم يجب أن يقتصر على المكعبات : خطوطاً وأجساماً وسطوحاً - وانما هو يرى أن هذه طريقة من الطرق يمكن اتخاذها - وليس فى هذا ما ينقص من قيمة الرسوم الاخرى التأثرية أو حتى الرسوم التقليدية التى تعود الى رفائيل ومن قبله منذ النهضة الايطالية

وقد نقلنا هنا ثلاثة من رسومه التى تفهم - ولكن الحقيقة أن له رسوماً أخرى لا يرى منها الانسان سوى الخطوط والمكعبات

ومن الفكاهات التى ذكرت فى الطعن على الطريقة التكعيبية أن رساماً من هذه المدرسة لم يستطع فهم المقصود من الرسم الذى رسمه أحد زملائه

ولم تشع الطريقة التكعيبية بين الانجليز . ولكن بعضهم نحا اليها دون أن يتخذها فنجح وخاصة فى رسم المعارك والقتلى مدة الحرب الكبرى



باليسار : وجه امرأة

القصة والدرامة

هل خلو الادب منهما برهان النقص

«هذه آراء ثلاثة من كبار الأدباء فى مصر والشرق العربى ، المعدودين فى الطليعة وكلها تدور حول القصة ، وماهيتها ، وتاريخها ، ومكانتها فى الآداب الرفيعة . ننشرها للقراء المستنيرين عامة ، وللشباب الناشئين من الكتاب والأدباء خاصة ، الذين أقبلوا على كتابة القصة ومعالجتها ، إقبالا يدل على الجد والاجتهاد . لينظروا فيها نظرة المتأمل الباحث ... لعلهم يجدون فيها ما يفيدهم ، وينفعهم ، ويمهد لهم سبيل الكمال فى إنتاجهم المأمول ، وفى قصصهم الجديدة المقبلة ..! »

***

الدكتور محمد حسين هيكل بك

أنا لا أعتقد أن أدب أمة من الأمم ، منذ العصور الاولى فى التاريخ ، قد خلا من القصة والدرامة ، وان اختلف تصوير هذه القصة والدرامة — ما بين عصر وعصر ، وأمة وأمة . . فالحياة فى ذاتها قصة ! ! والفن — إنما يصف الحياة ، وأنت إذا نظرت إلي صورة من الصور ، أو تمثال من التماثيل ، وجدته أكثر الامر — يعبر عن قصة من القصص ، أو درامة من الدرامات . . !

فالادب العربي القديم ملىء بالقصص ، فما يروى عن حكاية « المهلهل » ، وقصة « جليلة بنت مرة » — وما يروى عن حوادث كثيرة وضع فيها النثر والشعر منسوبا الى أشخاص معينين ، هو — فى اعتقادى — أقاصيص وضعها أدباء وشعراء ، ونسبوها إلى هؤلاء الاشخاص !

والأدب اليونانى القديم ، والادب الرومانى القديم ملىء بالقصص كذلك . فالقول

يخلو أدب أمة من الامم ، من القصة أو الدرامة ، لايصور الواقع تصويراً دقيقاً

وإذا كانت القصة فى القرون الاخيرة فى أوربا ، قد نسجت على أساليب معينة ، « كالرومانتزم » فى القرن الثامن عشر ، « والرياليزم » فى القرن التاسع عشر . وما انتهت اليه بعد « فلوبير » و«زولا»الىالقصة الحديثة ، فانما ذلك طور من أطوار الادب القصصى قد يتخطاه الى أطوار أخرى لم ترد بعد بخاطر الكتاب والادباء . وعندى أن بلوغ أمة من الامم ذروة الكمال فى أدبها ، إنما يرجع الى ظهور شخصية كتابها وأدبائها فى آثاره، والى بلوغ هذه الآثار ذروة الكمال الفنى . وسواء أكانت هذه الآثار فى القصص ، أم فى الشعر ، أم فى الترسل ، فلا يغير ذلك من هذا التقدير شيئاً ..

وغاية الأمر ـ أن القصة ـ قد طغت فى هذا العصر الاخير على سائر أنواع الادب، فأصبحت ترى أسماء «أناتول فرانس» و « بورجيه » و « تولستوى» و « دستوفيسكى» و « ديكنز » ـ على أنهم أعلام الادب الاوربى . وعلى أن ما وضعوا من صور القصص انما هو غاية الكمال الفنى ، ولو أن الشعر مثلا طغى غداً على سائر صور الادب ،كما فى عهد العرب القدماء ، أو فى عهد « شكسبير » و « ملتون » فى انجلترا ، فلن يغير ذلك مما قدمنا شيئاً . !

والخلاصـة . . أن بلوغ أدب أمة من الامم غاية الكمال ، إنما يكون بشخصية كتابها وتميز أدبائها ، وبظهور قوميتهم فى أدبهم . . أيا كانت الصورة التى يصور بها هذا الادب .. !؟

* * *

الأستاذ عباس محمود العقاد

ليس خلوأدب أمة من القصة دليلا على نقص فى أدب الامة ، أو فى أدب الفرد أيضا ذلك ، لان القصة لم تظهر بين الاعمال الادبية قبل القرنين الاخيرين ، وكانت آداب الامم على أتمها وأرفعها قبل ظهور القصة ، ولست أعنى هنا ـ أن القصص لم توجد قبل ذلك ، كأنها مما يجرى على ألسنة العامة والخاصة ، فى جميع الامم ، وانما أعنى القصة فى قالبها الادبى الذى عهدناه فى العصور الحديثة .

أما أدب الافراد – فكثير من أكبر الشعراء والكتاب ، قد نظموا ونثروا – دون أن يخطر لهم فى بال ، أن يساهموا فى كتابة القصص . بل لعلهم لم يقرأوا قصة فى حياتهم فضلا عن أن يكتبوها . ! ولولا سهولة القصة السخيفة ، ولا سيما عند الذين لا يحفلون بتجويد اللغة – لما كثرت الدعوة اليها بين الكسالى من الناشئين . .

* * *

– وهنا سألت الاستاذ العقاد : لماذا لا يعالج القصة ليرينا شيئاً «مثالياً» فى هذا الفن ينسج على منواله هؤلاء الناشئون الذين يصفهم « بالكسالى ! » ولماذا يخلو أدبه من القصة .. ! ؟

– فأجاب : « إن كتابى لم تخل من القصة ، لانى كتبت فصولا مختلفة بعنوان « مذكرات ابليس » قبل نيف وعشرين سنة ، ولم ينشر من هذه المذكرات ، غير مذكرة واحدة عن اغواء فتاة .. وتبدد سائرها فى أيام الحرب ، مع ما تبدد من أوراقى الخاصة .

كذلك كتبت قصصاً وأماثيل منشورة فى مجموعات المقالات التى طبعت ، ومنها «الفصول» و«المراجعات» .. على أننى لا أهتم كثيراً بكتابة القصة ، لاننى أعتبرها نوعاً من أنواع الادب التي يكثر فيها الاسفاف ، ويقل فيها السمو ، وهي غير مطلوبة لذاتها ، بل مطلوبة فى الاكثر لانها أيسر منالا عند الجماهير التى لم تألف دراسة الآداب الرفيعة ، ولن ترى فى كل ألف قصة وقصة تظهر واحدة جديرة بالقراءة والبقاء !

وأنا كذلك – أعتبر كتابة القصة فى غير ملابسة البيئات التى يكتب عنها ، والتفرغ لدراستها فى جميع أطوارها – أمراً يتعسر على الكاتب الذى يجب أن يعنى بالموضوع ، فلو توافر لى الوقت لما رأيت مانعاً يمنعنى أن أدون كثيراً من تجاريبى وملاحظاتى فى قالب قصة . .

أما الآن : فحسبى أن أؤدى من أمانة الادب ما أنظم من شعر ، وما أكتب من فصول أو مؤلفات . .

* * *

الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

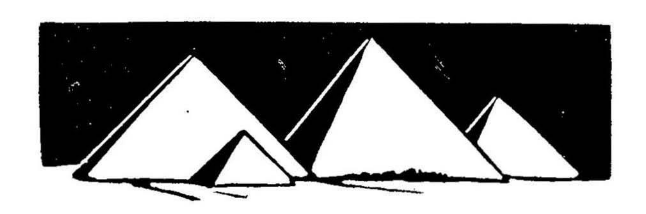
لا ... لا يعد خلو أدب أمة من القصة أو الدرامة نقصاً فى هذا الادب ، ذلك لأن القصة ليست فى نهاية الامر ، سوى أسلوب من الاساليب ، فى تصوير الحياة ، وكل أدب حي يفعل ذلك . .

فاذا كانت الحياة لاتصورها القصة ، فان ضروب الادب الاخرى تتكفل بهذا التصوير بأساليب غير أسلوب القصة ، وعلى أنحاء غير نحوها . وليس يغض من أدب العرب أنه خلا من القصة بمعناها الحديث . !

وحكم الفرد فى هذا ، هو حكم الامة فليست القصة هى سبيل التعبير الوحيد ،أو وسيلة الاداء المفردة لرسالة الادب . وانما هى احدى الوسائل لا أكثر . !

ولكل أديب طريقته وسبيله وأسلوبه واتجاه نفسه ، وهو يبلغ غايته - اذا كتب له التوفيق - فى طريقه الذى يدفعه اليه استعداده ، كما يبلغ القصصى غايته - مع التوفيق - من طريقه أيضاً . . . !

« أسعد حنا »



احدى قصص لورنس

بين يدينا مجلدان هما قصة واحدة تدعي « عشيق الليدى تشاترلى » أحدهما طبع فى انجلترا ولا تزيد صفحاته على ٣٢٧ صفحة والثاني طبع فى ليبتسج بالمانيا وتبلغ صفحاته ٣٥٩ ولكن الفرق بين المجلدين لا يقتصر على ٣٢ صفحة لأن المجلد الثانى أكبر قطعا من الاول . فالفرق الحقيقى لا يقل عن ٥٠ أو ٦٠ صفحة

ومؤلف القصة هو د . ه . لورنس المؤلف الثائر على تقاليد الادب والمدنية . وهو بالطبع لم يؤلف غير قصة واحدة . ولكن الناشر الانجليزى حذف منها نحو ٦٠ صفحة رأى انها تعارض العرف الشائع وان الحكومة لا تسمح بتداول الكتاب اذا نشر. فى حين لم يخش الناشر الالمانى شيئاً من الحكومة فنشر القصة بحذافيرها لم يحذف منها شيئا



د . ه . لورنس

وقد قابلنا بين النسختين وعنينا بقراءة الاجزاء المحذوفة لكى نقف على الغاية التى قصد اليها لورنس . وقبل أن نتناول هذه الاجزاء بالنقد نرى أن نلخص هذه القصة.

فان المؤلف يعرض علينا أسرة متوسطة الحال فى انجلترا قد اندمج الزوج والزوجة فى الجمعية الفابية التى تدعو الى الاشتراكية ويجهر فيها الاعضاء بآراء تجديدية فى الاجتماعيات والاقتصاديات . ولهذه الاسرة بنتان تشبان فى منزل أبويهما وتسمعان حديثهما ومناقشات الضيوف . فهما على شىء كبير من حرية الفكر وما يسمى الآراء العصرية . ويرى أبواهما ان من تمام التربية أن يبعثا بهما الى المانيا لأن اختلاف الوسط

والتثقف بالثقافة الاجنبيـة يخصبان الذهن ويزيدان ما يكتسب من الاختبارات . وهما لذلك يرسلانهما الى إحدى الجامعات فى المانيا حيث تتخذ كل منهما « صديقا » من الطلبة فاذا عادتا الى انجلترا فانه يقع فى نفس الاب من كلامهما وحركاتهما ان كلا منهما قد عرفت الاختبار الجنسى . وتعودان مع ذلك الى المانيا ويعود الاتصال الثقافى والجسمى بالصديقين الالمانيين وكأن الاب لا يرى بأسا فى كل ذلك

ثم تنشب الحرب فترحل الفتاتان الى انجلترا ولا تمضى أسابيع حتى تبلغهما وفاة الصديقين فى ميدان القتال . وكل منهما تبكى صديقها وتلعن الحرب التى فصلت بينهما . ولكن لا تمضى بعد ذلك مدة طويلة حتى تكونا كلتاهما قد تزوجتا . واحداها كونستانس، وهي بطلة القصة ، تتزوج شابا غنيا يرث عن أبيه منجما للفحم . ويذهب الشاب الي ميدان القتال ويعود وهو ممزق اللحم مهشم العظم . ولكن لا يزال الطبيب يواليه بالمعالجة والترقيع حتى يعيد اليه الحياة . وهى ليست مع ذلك حياة كاملة فان نصفه الاسفل ميت ليس فيه من بقية الحياة غير البطن وما يعلوه

وهكذا قضى على كونستانس أن تعيش مع رجل هو فى حكم الخصيان . وكأن المؤلف يريد بايجاد هذا الموقف أن يزكى ثورتها على الاخلاق . فهى تذوى كما تذوى العانس التى لا تتزوج . ويراها أبوها على هذه الحال وقد برزت عظامها وغار صدرها فينصح لها بأن تختار لها عشيقا . ويزورها صديق لزوجها فما هو أن يغازلها حتى تستجيب له

وهى تقيم فى بيت لزوجها فى منطقة الفحم حيث المناجم قريبة والريف موحش يكرب النفس . ولذلك فانها تفتقد سعادتها فى الطبيعة أو فى المنزل فلا تجدها . وتلك الفترات القليلة التى تتصل بها بصديق زوجها لا تشبعها . ويقودها الحظ الى نزهة خلوية فتجد شابا يغتسل وقد حسر عن جسمه فيكون له فى عينيها جمال كثيرا ما افتقرت اليه وهى ترى زوجها فى عجزه ينقل كالطفل من الكرسى الى السرير اذ لا تستطيع ساقاه حراكا . فهى تتعرف الى هذا الشاب الذى يعمل فى خدمة زوجها ويربى الدجاج الصينى لكى يصاد فى الغابات اذا نما وطار . وهى تحاول الى أن تتصل به . ومما يجرئها على هذا الاتصال ان زوجها وقد عرف عجزه عن ان يوجد الوارث الشرعى لممتلكاته ، يصرح لها بأنه لا يبالى أن يكون لها ابن ينشأ فى البيت حتى اذا مات هو امكنه أن يقوم على هذه الممتلكات بالعناية

فيبقى اسم الاسرة « تشاترلى » ولا ينقرض لعجزه عن التناسل

ويستهتر الاثنان اى الليدى تشاترى وعشيقها وينغمسان فى اللذة الجنسية . وهنا يتناول المؤلف مواقف العشق بالوصف المسهب حتى يسمى الاعضاء التناسلية باسمائها العامية وليس باسمائها العلمية ويصف حرارة الشهوة وجنون اللذة . وهذه الاوصاف هى التى حذفها الناشر الانجليزى خشية أن تمنع الحكومة تداول الكتاب

وكلما ازداد حب الليدى تشاترلى لعشيقها ازدادت كراهة لزوجها وكأنها تحقد عليه لأنه حرمها من الحق الطبيعى الذى تطلبه الزوجة من زوجها . حتى لتصرح له باحتقارها لحياة الذهن واكبارها لحياة الجسم. ويقول لها الزوج: «ان حياة الجسم هي حياة الحيوان» فترد عليه قائلة : « ولكن هذه الحياة خير من حياة الجثث . ومع ذلك فليس هذا صحيحا . فان الجسم الانساني قد شرع فى أن يحيى . ففى أيام الاغريق انتبهت حياة الجسم قليلا ولكن جاء ارسطوطاليس وافلاطون فقتلاه . والآن يعود الجسم الى الحياة وكأنه ينبعث من القبر . وستكون حياته جميلة فى عالم جميل ، هذه الحياة للجسم الانسانى»

وتشعر بالحمل وقرب الوضع فتترك زوجها الى البندقية . وهي بالابتعاد عن زوجها تزداد كراهة له فلا تعود اليه . ثم تراسل عشيقها ويتقابلان ويعزمان على شراء عزبة لكى يعيشا معا

* * *

والقصة اذا خلت من وصف المواقف الجنسية وتفاصيل التعارف الجنسى لا تختلف من القصص المألوفة التى تخرج المطابع العشرات منها كل يوم . ولكنها بهذه التفاصيل تشبه الدعوة الى اللذة الجنسية والاشادة بها وهى فى أماكن مختلفة تذكر القارىء بالقصة الفرنسية : مدام بوفارى . وقد يعتقد بعض القراء أن هذه التفاصيل المحذوفة من الطبعة الانجليزية تشوق وتسلى والحقيقة التى أستطيع أن أصارح بها القراء انها أبعد ما تكون عن ذلك . بل هي أدني الى الاضجار منها الى التسلية . وقد حاول لورنس أن يجعل عبارته فنية ولكنها لم تزد على أن تكون فظة عامية ينبو عنها ذوق الاديب أو القارىء المتأنق

ولم يكن لورنس فى بدء حياته التأليفية يدعو هذه الدعوة لان دعوته الى الحياة فقط . فقد كان يقول اننا لا نعيش ملء حياتنا ولا نستمتع بالشمس أو الطبيعة أو الصحة .

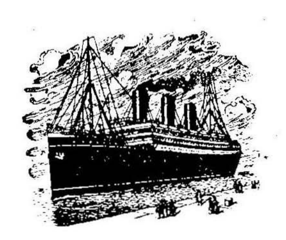
وبدهي انه متى شرع الانسان يقول بضرورة الاستمتاع فانه لابد ملتفت الى اللذة الجنسية وهى أعمق مافى الحياة من اللذات والمتع

ولكن الشيء الذى يتناساه لورنس أن الحياة ليست كلها لذة جنسية. والذى يلاحظ ويثبته الاختبار ان الامة التى تتهالك على هذه اللذة تفقد رجولتها وتفسد انوثتها . فان الشرق كله كان ولا يزال يتهالك على هذه اللذة . ففقد رجاله رجولتهم وأصبحت نساؤه أدوات للفراش . ومن أعظم نكبات الهند هذا الزواج الباكر الذى يجعل الشاب كهلا منزوفا وهو فى العشرين . وقد عرف الهنود والصينيون الافيون وكان للتهالك على اللذة الجنسية أثر فى تفشيه وفى انحطاطهم جميعا

ان لورنس ثائر . ولكن ثورته تجرى أحيانا فوضى بلا تقاليد . ولا يستغربن القارىء اننا ننسب التقاليد الى الثورة. فان تجارب الامم الماضية تثبت أن الثورات الحسنة التى أفادت وخدمت الرقى انما جرت على تقاليد واضحة فى الرغبة فى المساواة والحرية والعدالة مع ضبط الشهوات الدنيا . بل كثيرا ما كان هذا الضبط ينحو نحو النسك والصرامة فى العلاقات الجنسية . وفى الانسان نزوع نحو النسك كما أن به نزوعا نحو التنفيس عن الشهوة الجنسية . والنظام الاجتماعى الحسن يقتضى الموازنة بين النسك والتنفيس . واذا كان هذا التنفيس مفيدا فان النشاط يحتاج الي قليل من الكبت

ومن الخطر الكبير أن تحاط الشهوة الجنسية ، وهى على قوتها المعهودة ، بما يزينها ويبتذلها فى وقت معاً . فان الزينة تغري بها والابتذال يفتح الطريق للشذوذ الجنسى الذى فشا بين بعض المنحطين فى انجلترا وفرنسا

سلامه موسى



كونان دويل

مؤلف قصص شرلوك هولمز

لعل كونان دويل هو أحب الأدباء الانجليز الى نفسى وأقربهم الى فؤادى . بدأت قراءة مؤلفاته منذ الحداثة ودرست بعضها دراسة مستفيضة وخاصة مباحثه الروحية ونقلت كثيراً من قصصه الى اللغة العربية ونشرتها فى مجلات مختلفة فى حينها . ولست أدرى سبب هذا التعلق الشديد أهو اللذة الأدبية التى كنت ولا أزال أجدها فى أسلوبه الرشيق وعباراته السلسة أم التسلية الروائية المحبوكة الأطراف التى كانت تستغرق من وقتى أياما طويلة متتالية . أم هو نزعته الطبية التى تتجلى بوضوح فى سياق قصصه صادفت هوى فى فؤادى نظراً لمهنتى الطبية ؟

ربما كانت كل هذه الأسباب مجتمعة هى التى جذبتنى ودفعتنى الى دراسة هذا الكاتب والاطلاع على كل مؤلفاته وعلى كل حال فان تاريخ حياة هذا الروائى الكبير هو رواية مدهشة وحوادث طلية وتطورات غريبة . وهو يقول عن نفسه فى مقدمة مذكراته « لقد ذقت مرارة الفاقة وتذوقت حلاوة الثراء وتعرفت بعدد كبير من عظماء العالم . بدأت حياتى طبيباً ثم تحولت مؤلفا وأديبا وطفت فى جميع أنحاء العالم من المناطق القطبية الى الجهات الاستوائية وحضرت مواقع حربية فى السودان وجنوب أفريقيا والحرب العظمى

« ... أخيراً بعد مباحث عديدة وتجارب استغرقت ستة وثلاثين عاما ارصدت نفسى للعلوم الروحية وفى سبيل نشر الدعوة اليها قطعت نحو خمسين ألف ميل وحاضرت أكثر من ثلاثمائة الف شخص وألفت كتباً عديدة فى هذا الموضوع الحيوى الخطير »

ولد أرثر كونان دويل فى ٢٢ مايو سنة ١٨٥٩ بمدينة أدنبره باسكتلندا وهى مسقط رأس ولتر سكوت وروبرت لويس ستيفنسون أكبر القصصيين الانجليز على الاطلاق . وكانت أسرته عريقة الا أنها كانت رقيقة الحال ولما شب عن طوق الحداثة التحق بمدارس

اليسوعيين فى ستونهرست وقد انتهز هؤلاء فقر والديه وعرضوا عليهما اعفاء ابنهما من المصاريف المدرسية اذا كرسا ابنهما لخدمة الكنيسة ولكنهما رفضا بتاتاً . وفى آخر مدى دراسته تجلت مواهبه الأدبية اذ نظم قصيدة عن عبور بنى اسرائيل للبحر الأحمر كانت محل اعجاب الجميع . وساهم فى تحرير مجلة الكلية

ولما أتم دراسته الابتدائية ، وكان لا يزال حديث السن لدخول الجامعة ، أرسل الى ألمانيا ليدرس اللغة الألمانية وأمضى سنة فى هذه الرحلة زار فى أثنائها باريس حيث كان يقيم أحد أقاربه وآب الى وطنه فى صيف عام ١٨٧٦

ولقد تأثرت نفس كونان دويل بما شاهده فى مدارس اليسوعيين من النظام والغيرة الدينية وتجلت آراؤه هذه فى رواية « اللاجئين » التى يصف فيها الآباء اليسوعيين يهجرون وطنهم الى مجاهل أمريكا المتوحشة بين الهنود الحمر ويتحملون فى سبيل نشر المذهب الكاثوليكى من الاضطهادات مايعجز القلم عن تسطيره ويقابلون الموت والتعذيب بجأش ثابت وجنان لا يتزعزع

ولما عاد من رحلته الألمانية التحق بجامعة أدنبره لدراسة الطب وأمضى فيها عدة سنوات ولما كانت حالة أسرته المالية تسير من سىء الى أسوأ اضطر فى السنة الأخيرة أن يلتحق بأحدى السفن التى تصيد الحيتان فى المناطق القطبية حيث أمضى ثمانية أشهر من عام ١٨٨٠ بصفته جراحا ولما لم يكن يتجاوز العشرين من عمره فى ذلك الوقت وعلومه الطبية لا تزال قليلة تافهة ، فقد سره كثيرا أن الظروف لم تضطره الى مباشرة مهام وظيفته بصفة جدية . وقد أفادته هذه الرحلة كثيرا من الوجهة المالية ووسعت دائرة معلوماته وتجاربه الشخصية عن أصقاع نائية مملوءة بالحوادث المثيرة والمناظر الرائعة

وفى اواخر عام ١٨٨١ نال شهادته الطبية وتعين طبيبا للباخرة الأفريقية « مايومبا » فى رحلتها الى جنوب أفريقيا ثم آب الى وطنه وافتتح عيادة خاصة فى بليموث ثم فى بورتسموث فى جنوب انجلترا . وقد وصف كونان دويل السنوات الأولى بعد تخرجه من الجامعة فى رواية سماها « رسائل ستارك مترو » حيث يصف بصراحة وأمانة ما صادفه من الصعوبات والمتاعب المالية والساعات الطويلة المملة التى كان يقضيها فى عيادته ينتظر عبثا قدوم مريض أو استدعائه لاسعاف مصاب وكيف كان يقضى حاجياته المنزلية بنفسه

وفى أثناء الليل عند ما تبطل حركة المرور فى الشارع كان يخرج خلسة الى الشارع لتلميع اللوحة النحاسية المكتوب عليها اسمه وكنس السلالم الخارجية

وبدأ فى ذلك الوقت يكتب القصص لاحدى المجلات ويحصل منها على أجور تافهة تساعده على معيشته الى أن تمكن بمثابرته واجتهاده من توسيع نطاق أعماله الطبية والحصول على ايراد يكفى ليعيش عيشة متوسطة ولكنه لم يكف عن تأليف القصص وتحرير المقالات

وتزوج كونان دويل فى ٦ أغسطس سنة ١٨٨٦ وبعد زواجه بدأت مواهبه الفنية وعبقريته الأدبية تتجلى بوضوح وبدأت شهرته تبزغ فى سماء الأدب واستأنف تحرير القصص فى المجلات المختلفة وخاصة فى كورنهيل الشهيرة ولكنه وجد أخيرا أن هذه القصص القصيرة لن تجدى فتيلا فى مستقبله الأدبى فبدأ يؤلف رواية « شركة جرد لستون » ولكنه لم يستطع نشرها فى حينها لأن شركات النشر اعتذرت عن قبولها بأعذار شتى وهو نفسه يعترف أن هذه الرواية الأولى ليس لها قيمة أدبية كبيرة

عند ذلك حول مواهبه الروائية الى ناحية أخرى وبدأ سلسلة رواياته البوليسية الممتعة عن شرلوك هولمز التى خلدت اسمه فى عالم القصص وأدرت عليه أرباحا هائلة وشهرة كبيرة ولكن أول رواية من هذه السلسلة المسماة « دراسة دموية » لم تصادف قبولا من شركات النشر . وأخيراً تمكن من بيعها بمبلغ ٢٥ جنيها بشرط ألا تنشر الا بعد مضى سنة ولكن هذه المهلة الطويلة ورفضها السابق أدخلا الى نفسه شيئا من اليأس وخيبة الأمل . ولكنه استمر وثابر الى أن توطدت دعائم شهرته الأدبية فترك مهنته الطبية وتفرغ للأدب والتأليف سنة ١٨٩٠

وسافر فى رحلات عدة الى أفريقيا الجنوبية فى أثناء حرب البوير وحضر عدة مواقع حربية وزار مصر والسودان سنة ١٨٩٨ فى أثناء حروب التعايشى وكانت نتيجة رحلته الأخيرة أن كتب رواية « فاجعة كورسكو » التى ظهرت على الشاشة البيضاء باسم « نيران القدر » وفيها يقص حادثة باخرة صعدت فى النيل الى أن وصلت حدود السودان فهاجمها الدراويش وأسرو الركاب وجرت لهم حوادث عديدة رائعة

وظل يؤلف القصص والروايات وشهرته تزداد علوا وانتشارا الى أن أنعم عليه بلقب « سير » سنة ١٩٠٢

ولما اشتعلت الحرب العالمية خدم الحلفاء بقلمه خدمات لاتقدر وزار ميدان القتال زيارات عديدة وقتل ابنه كنجزلى فى أحدى المواقع فأثر هذا المصاب فى نفسه تأثيراً عميقاً ولما وضعت الحرب اوزارها تفرغ لدراسة استحضار الأرواح ونشر الدعوة اليه بعد أن أقنعته التجارب والاختبارات الماضية انه علم حقيقى وأن فى نشره بين الملأ فوائد خطيرة فترك تأليف الروايات وضحى فى هذا السبيل بمكاسب طائلة وتحمل كثيراً من الانتقادات وعبارات الهزء والسخرية من أولئك الذين ينكرون الارواح لا عن علم وتجربة بل لمجرد اقتناعهم أنها بدع مؤسسة على التغرير والخداع دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والاستقصاء

وظل كونان دويل يجوب البلدان ويلقى المحاضرات ويؤلف الكتب فى هذا السبيل الى أن وافته منيته فى ٧ يوليه سنة ١٩٣٠ . وعندما حضرته الوفاة أبلغ الذين حوله أن روحه ستزورهم وقد وصفت الرسائل البرقية فى حينها حفلة التابين التى أقيمت لذكراه وذكرت أنهم وضعوا فى صدر الكنيسة كرسيا خاليا ليجلس عليه روح الفقيد حسب وصيته

ولا يسعنا أن نختم تاريخ حياة هذا الروائى الكبير قبل أن نوجه التفات القراء الى ثلاث ظواهر هامة قد لا تتفق لكثير من الادباء

فهو قبل كل شىء نشأ عصاميا من أسرة فقيرة وكان فى مبدأ حياته الطبية يعيش على ستة بنسات فى اليوم أى أقل من قرشين

والظاهرة الثانية دفاعه عن المظلومين والمضطهدين وهو من هذه الوجهة يشبه فولتير عند ما ثار فى وجه الظلم دفاعا عن كالا وسرفين اللذين اضطهدتهما الكنيسة وشردت أبناءهما . وأميل زولا فى دفاعه عن الضابط دريفوس اليهودى والذى كتب فى هذا السبيل مقالته الخالدة « انى أتهم »

فان كونان دويل ناصر المتهم « أداجى » الذى حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات وظل يعضده بقلمه ونفوذه الى أن أطلق سراحه . ودافع أيضا عن اوسكار سلاتر الذى وقع ضحية خطأ قضائى وحكم عليه بالسجن المؤبد وبعد زهاء ثمانية عشر عاما تمكن من تخليصه

وأنالته تعويضا قدره ستة آلاف جنيه . وكان يدافع دائما عن الوسطاء الذين يقعون تحت طائلة القانون

وأخيرا امتاز كونان دويل عن غيره من الكتاب والمؤلفين بانتصاره لعلم الارواح واستحضارها فى الاثنى عشر عاما الاخيرة من حياته فقد طاف فى عواصم أوربا وبلدان الولايات المتحدة وكندا واستراليا وطاف أفريقيا الجنوبية من مدينة الرأس الى نيروبى وفى كل مدينة كانت الجماهير تتدفق لسماعه وظل على هذا المنوال الى أن أصيب بنوبة قلبية فى استوكهلم فرجع الى وطنه . وقبل أن تحضره الوفاة بستة أيام كان على رأس وفد الى وزير الداخلية مطالبا بتعديل قانون الوسطاء على ضوء الاختبارات العلمية الحديثة

وأهم مؤلفات كونان دويل واكثرها ذيوعا وانتشارا هى بلاجدال سلسلة رواياته عن شرلوك هولمز عدو اللصوص والقتلة والذى كان يكافح الاجرام بملاحظاته الدقيقة واستنتاجاته المنطقية . ولا شك أن تربية المؤلف العلمية ودراساته الطبية ساعدته كثيراً على توخى الدقة فى قصصه والاهتمام بالتفاصيل وقد صار اسم شرلوك هولمز رمزا للذكاء الحاد وبراعة الاستدلال كما كان اسم تارتوف فى روايات موليير رمزا للنفاق والخداع

طرأت فكرة شرلوك هولمز على مخيلة كونان دويل من ملاحظة أحد اساتذته فى الجامعة واسمه الدكتور جوزيف بل . فقد كان هذا الطبيب يجلس على كرسيه شابكا أصابعه وحوله الطلبة فعند ما يدخل المريض أو المريضة ينظر اليه بعينيه الناقدتين فوق أنف كمنقار النسر يحيط به ملامح وجهه الحادة . ومن نظرة واحدة يفهم كل شيء . دخل مرة مريض فنظر اليه الدكتور بل ثم التفت الى الطلبة وقال « هذا الرجل يشكو من ادمانه الشراب وها قنينة الخمر تطل من جيب صدريته الداخلى »

ودخل مريض آخر فقال الدكتور بل « هذا الرجل اسكافى فأن الجزء الداخلى من سرواله عند الركبة متآكل وذلك فى المكان الذى يضع فيه الاسكافى عادة الحجر الذى يصلح عليه الجلد وهذا التآكل فى هذه الناحية من الركبة لايوجد الا عند أفراد هذه المهنة »

وظلت صورة الدكتور بل منقوشة فى مخيلة كونان دويل بعد حصوله على الدبلوم ورحلته الى أفريقيا الجنوبية ولم يخطر له وقتئذ فى بال أنها ستكون السبب يوما من الأيام

فى هجر مهنته الطبية الى تأليف القصص والروايات والى خلود اسمه فى عالم الأدب

وقصص شرلوك هولمز ليست خزعبلات ومجرد سرد حوادث فحسب بل هى نتيجة بحث مستفيض وانتباه تام الى التفاصيل الحقيرة . ومن رأيى أنها أعظم مشجع على دقة الملاحظة والاهتمام بكل ما نصادفه فى الحياة من أمور قد نظنها تافهة ولكننا لو تنبهنا لها لأمكننا أن نسير فى استنتاجاتنا الى مدى بعيد . فقد ذكر كونان دويل أن شرلوك هولمز ألف كتابا عن بقايا السجاير ذكر فيها نحو خمسين نوعا من الدخان وكيف يمكن التمييز بينها . وعندما ينظر شرلوك هولمز الى أثر عربة يعرف فى الحال سرعتها واتجاهها وما تحمل من أثقال الخ . وهو عالم فى الكيمياء العملية والتشريح وموسيقى ماهر يضرب على كمانه الحانا شجية عند ما تفرغ جعبته من القضايا ولا يجد ما يعمله مع صديقه وزميله الدكتور وطسن الذى جعله المؤلف راوية للحوادث ومسجلا لها

ويلى ذلك فى الاهمية الروايات التاريخية مثل حوادث البريجادير جرارد وهى مذكرات أحد ضباط نابليون ورواية العم برناك تصف حياة هذا العاهل العظيم و « ميكا كلارك » عن ثورة الدوق مونموث وغيرها من القصص التاريخية ذات الحوادث الشيقة

وكتب روايتين عن أيام الفروسية فى القرون الوسطى هما « السير نيجل » و « الفرقة البيضاء »

وقد ذكرنا روايته « اللاجئين » وقد ترجمتها منذ عدة سنوات باسم « ضحايا الاضطهاد » لأنها كانت مقررة على البكالوريا وفيها تفاصيل وافية عن اضطهاد البروتستانت فى فرنسا أيام لويس الرابع عشر وهجرتهم الى امريكا وكفاحهم مع الهنود الحمر وسط الغابات السحيقة والمجاهل النائية

ومن أهم رواياته « العالم المفقود » التى ظهرت على الشاشة البيضاء وهى عبارة عن عثور بعض العلماء فى أمريكا الجنوبية على هضبة عالية متسعة تحيط بها وديان عميقة من تأثير تطورات جيولوجية منذ ملايين السنين وفى هذه الهضبة المنعزلة تماما عن العالم عثر هؤلاء العلماء على حيوانات هائلة الحجم وطيور كبيرة مفترسة وقبائل من البشر لايزالون على الفطرة وكل هؤلاء يعيشون كما كان آباؤنا فى العصر الحجرى

وفى رواية « منطقة السم » يتخيل كونان دويل ان العالم يجتاز منطقة جوية فسد فيه

الهواء وقلت فيها نسبة الأكسيجين وظهر تأثير ذلك فى أخلاق الأهالى وفى النهاية أصيبت الناس باغماء شديد لمدة بضع ساعات ماعدا أحد العلماء تنبأ لهذه الظاهرة الغريبة قبل وقوعها واستعد لها بأكسيجين مركز فى غرفة مقفلة الى أن اجتازت الكرة الارضية منطقة الخطر واستفاق الناس دون أن ينتبهوا الى ما حل بهم كل ذلك فى عبارات طلية لا تمل

وفى رواية « أرض الضباب » يصف كونان دويل اختباراته فى علم الارواح بقالب روائى شائق

وهذا غير قصص وروايات أخرى عديدة يضيق المقام عن تعدادها . ونظم كونان دويل بعض قصائد جمعها فى كتاب على حدة ودون رحلاته الى جنوب أفريقية وذكر فيها حرب البوير وما شاهده بنفسه من المواقع

وكتب أيضا مؤلفات عديدة فى علم الارواح ولما كانت آراء هذا الاديب الكبير فى هذا العلم جديرة بالدرس والاستقصاء فربما أفردنا لها مقالا خاصا

منية الحيط — الفيوم الدكتور فؤاد واصف



التفكير العلمى الحر

بقلم الاستاذ أمير بقطر

اذا أردنا أن نمر سراعا بأطوار المدنية الحديثة ، حسبما دونها لنا علماء التاريخ ، والآثار ، وطبقات الأرض (جيولوجيا) والسلالات البشرية « انثروبولوجيا » ، فلا بد لنا أن نعيد الى الذاكرة صور تلك الزهرات التى ترعرعت ، وتلك الثمار التى نضجت وأينعت ، حوالى السنوات من ٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، على ضفاف تلك الأنهار التاريخية العظيمة الخالدة ، وهى النيل فى مصر ، والفرات فى بابل ، ودجلة فى اشور ، والسند والكنج فى الهند ، والهوانج واليجنتسكيانج فى الصين . ولا بدلنا أن نذكر انتقال هذه المدنيات الى الاغريق ، ولو أننا لا نعلم كيف انتقلت ، مع المامنا بكيفية سيرها واستحكام حلقاتها من الاغريق للرومان والعرب واليهود الى أوربا . ولا بد لنا أن نعرج على القرون الوسطى أو العصور المظلمة بعد سقوط الدولة الرومانية ، ونلم المامة خفيفة بالحالة الفكرية فى أوربا ، ونفوذ الكنيسة أو السلطات الدينية منذ أن أخذ نجم روما فى الافول الى نهاية القرن الثالث عشر للميلاد !

ظلت الكنيسة طيلة هذه القرون التسعة ، أو أكثر ، تسيطر على العقول والأفكار فى أوروبا ، وكان ماتأمر به يطاع ، وماترسم به آيات منزلة ، وما تخدع به عقول البسطاء والسذج والجهال من جميع الطبقات ، هو الوحى بعينه يهبط من السماء . وكانت البابوية وأعوانها من كرادلة وأساقفة وكهان وقساوسة ورهبان وراهبات ، يخضعون الملوك والبراطرة ، ويزينون الهامات بالتيجان ان شاءوا ، ويستأثرون بسلطة النبلاء والاشراف والحكام أن شاءوا ، حتى طفحت خزائنهم بالنضار ، ومما كانوا يفرضونه على جميع السكان من العشور باسم الدين ، وأصبح ثلث مساحة أوربا من عقار وممتلكات فى قبضة أيديهم

ولما كان نجاح هذه الدكتاتورية ، وذلك التعسف والاستبداد ، والسيطرة على التفكير لا تقوم له قائمة الا بالجهل ، فقد حبست الكنيسة النزر اليسير من العلوم والمعارف فى ذلك العصر فى الأديرة ، وحرمت على الرهبان اخراج الكتب والطروس المخطوطة من صوامعهم ، وحظرت على الشعب قراءة الكتاب المقدس وجعلت العلوم على ضآلتها وقفاً على الكنيسة ، فلم يكن الفلك الا لضبط مواقيت الصيام والصلاة ، ولم تكن الفلسفة إلا وسيلة لتفسير الآيات المقدسة ، ولم يكن التصوير الا لتزيين الهياكل بالايقونات وصور القديسين ، ولم يكن النحت وفن المعمار والموسيقى الا فنوناً ترمى الى تزيين الكنائس وبناء الكاتدرائيات وتلحين الانغام والتراتيل والأناشيد الكنسية

يتضح من هذا البيان الوجيز ، أن المدنية والمعارف والعلوم التى وضع أصولها الأقدمون فى مصر وأشور وبابل ، وهذبها ورفع شأنها الاغريق ، أخذ ظلها يتقلص قبيل سقوط الدولة الرومانية ، وخبا نورها باضمحلال هذه الدولة ، ونامت أوربا نوماً عميقاً فى خلال القرون الوسطى المظلمة الطويلة ، اذا استثنينا البصيص الضئيل الذى كان يشع نوره قليلا ، ولكن وراء جدران الأديرة السميكة

بيد أن ذلك الظلام الحالك ، وذلك السبات العميق ، وذلك الخمول الفكرى فى أوربا كان يعاصرها فى الشرق نور ساطع ، ويقظة شديدة ؟ وحركة فكريه عظيمة الشأن . وذلك أن العرب واليهود فى أسيا كانوا مكبين على فلسفة سقراط ، وحكمة افلاطون ، وعلوم ارسطو وسائر معارف الأغريق والرومان ، ونقلها الى لغتهم ، وكانت مدنية الصين تنتشر تدريجياً ، وتنتقل من بكين شرقاً وتبت وتركستان واواسط اسيا الى جزيرة العرب واسيا الصغرى ، ، حتى قام المنغول واستولوا على تلك الأرجاء الواسعة فى أسيا وأوربا من باكين شرقاً الى كيف فى روسيا واواسط أوربا غرباً تحت زعامة الطاغية جنغيزخان وخلفيه ، الغازى او غداى خان ، والداهية قبلاى خان

والان تستطيع أن تفهم كيف نهضت أوربا من رقادها ، وأخذت حركتها الفكرية فى النهوض بعد النوم ، والانتعاش بعد الخمول ، والثوران بعد الذلة والاستسلام ، أو بعبارة أخرى ، كيف اتصلت أوربا باسيا ، وعلومها وثقافتها ومدنيتها ، وطرق المعيشة الراقية فيها . تم لها ذلك بطرق ثلاث ، أو حوادث تاريخية فى غاية من الخطورة ، لأنه

لولاها لبقيت فى ظلامها وعلى همجيتها الى يومنا هذا . وهذه الحوادث الثلاث هى :

اولا — الحروب الصليبية ، وما تسبب عنها من اختلاط الاوربيين بالعرب ومن جاورهم من الأمم ، واقتباس علومهم ومعارفهم

ثانياً — تيار المغول الجارف واستيلاؤهم على الاراضى الواقعة بين باكين فى الصين وكيف وهنغاريا فى أوربا كما أسلفنا . وتبع ذلك قيام الرحالة من الاوربيين الى أسيا ونقلهم سلعها ومدنيتها وعلومها الى أوربا

ثالثاً — خروج الرهبان الكاثوليك من اديرتهم طلباً فى العلم الذى سمعوا عنه من القادمين من أسيا ، واسفار التجار الاوربيين لابتياع السلع وثمرات الصناعة الجميلة من اسيا ، وسفر هؤلاء الرهبان واولئك التجار الى أسيا الصغرى وجزيرة العرب وشمال الهند واواسط اسيا وشرق الصين . حتى أقبلت أوربا الجائعة على الكتب الشرقية تنقلها الى شتى اللغات ، وأخذ الفكر يتحرر تدريجياً من الأغلال ، وأخذ الناس يبصرون النور بعد أن كان مختفياً عن العيون ، فانفجرت عقلية أوربا من صخور التعصب المتحجرة

ونتج من ذلك كله ان اكتظت اوربا بالمصنوعات الشرقية ونقلت المعارف وسبل المعيشة من اسيا ، فأصبح الورق مثلا الذى كان يصنع من الحرير فى الصين ، يصنع من القطن فى بلاد العرب ، ومن الكتان فى الأندلس ، ومن عناصر مختلفة فى اوربا . واستغنى الجمهور عن الرق الغالى الذى كان يحتكره الرهبان للكتابة واذا ما باعوه طلبوا أثمانا باهظة ، وعند ما اخترعت الطباعة كان الكهنة ينادون « لنقض على المطابع والا تقضى هى علينـا »

ثم انتشرت الطرق التى شقها المغول من باكين الى اواسط أوربا ، واتصل بها سكان الشمال فتضاعفت رحلات الرهبان الكاثوليك الى مجاهل الشرق وحملوا كنوز الحكمة منها الى الغرب ، وركب البحارة متن السفن ، وأبرة البوصلة رائدهم — وقد كانت من مكتشفات ذلك العصر — وأخذ العلماء يرصدون عجائب الكون بعد أن ظهر منظار (تلسكوب) جليليو فى عالم الوجود ، وخفت صوت الفلسفة الجوفاء التى كان يسفسط بها العلماء حينئذاك ، وحل مكانها البحث والتحقيق العلمى وكف المنافقون عن تحويل المعادن الدنيا الى ذهب فخلت الكيمياء الصادقة مكان الكاذبة ، كما اعتلى الفلك منصة الدرس بدلا من التنجيم ، وحل

النبات والحيوان وغيرهما من العلوم محل الخزعبلات والأباطيل

ولا يمكن تحديد الزمن الذى أشرقت فيه شمس التفكير العلمى الحر بالضبط ، لأنه جاء بالتدريج وأخذ يسير بخطوات ثقيلة بطيئة ، نظراً لما كان يعترضه من الصعوبات ، وعوامل المحافظة والرجعية . غير أنه يمكن أن يقال أن نهضة التفكير العلمى الحر قد بدت فى الظهور على يدى روجر بيكون (١٢٩٤) ذلك العالم الانجليزى الجرىء الذى أخذ ينادى بأعلى صوته قائلا « فكروا ياقوم بأنفسكم . لا تأخذوا كل مايقوله لكم الغير قضايا مسلماً بها . جربوا بأنفسكم » واشتدت النهضة بظهور دائرة المعارف المتحركة للعالم الايطالى ليونارد دى فينتشى (١٤٥٢) ، وزادت كثيراً على يد الفلكى الهولاندى المشهور كوبرنيكوس (١٤٧٣) ، والرياضى الايطالى الكبير جليليو (١٥٦٤) وكبلر ومن تلاهم من العلماء مثل جلبرت (١٥٤٠) فى الكهرباء والمغنطيس ، وفيساليوس (١٥١٤) فى التشريح ، وهرفى (١٥٧٨) مكتشف الدورة الدموية .

ولما أن انتشرت العلوم والمعارف . وتداولها الناس زال عنهم كابوس الخوف ، من قوات الطبيعة ، ونواميسها المجهولة ، فكفوا عن عبادتها والجزع منها ، وأخذوا فى التفكير فيها والتغلب عليها . عندئذ قرعت نواقيس الحكمة ، والتفكير الحر ، والنضوج العلمى ، ووقف سر فرنسيس بيكون الفيلسوف الانجليزى (١٥٦١) يعلن جهاراً أن أوربا قد بلغت سن الرشد ، وحث الناس على اتخاذ الملاحظة معيناً للتجارب والبحث العلمى لا بديلا ، وقد جاء ذلك العصر معيناً لبيكون ومشجعاً له على نشر آرائه ، العصر الذهبى للملكة اليصابات ، وما تلا استكشاف أمريكا وأسفار الرحالة الاسبان والبرتغاليين والهولانديين والفرنسيس والانجليز ، والتغيرات التى طرأت على العقول بعد النهضة العلمية Renaissance وانتشار الثقافة فى فلورنسا وميلانو وروما والبندقية ومدريد وباريس وامستردام ولندن ، وما تبع ذلك من أزاهر العلم التى تفتحت أكمامها فظهر منهـا شعر سبنسر ونثر سدنى ، وروايات شكسبير ومارلو وبن جونسون

ثم جاء الفيلسوف اليهودى سبنوزا (١٦٣٢) الذى بعد أن طرده الأسبان فى عصر ازابلا مع بنى شعبه ، اتخذ هولندا موطناً له ، وأخذ ينشر مبادىء التفكير العلمى الحر ، ومن فلسفة التوفيق بين العقل والعاطفة فقد كان يقول ان العقل بغير عاطفة ميت وان العاطفة بغير عقل عمياء ، وظهر فى انجلترا جون لوك (١٦٣٢) بتعاليمه المعروفة فى جعل الحكم

مقروناً بارادة المحكوم ، وقد كان لتعاليمه أثر كبير فى نداء الفرنسيين بالحرية والاخاء والمساواة أبان الثورة الفرنسية . وظهر بعده روسو وفولتير فى القرن الثامن عشر فقلبا نظام السياسة والاقتصاد وحولا تيار الأفكار فى أوربا من سياسة الارستقراطية الاقطاعية الى الحكم الشعبى الديموقراطى . وقد أشعل روسو وفولتير كلاهما نار الثورة ، وساعدا فى فوران بركانها ، وطحنا المسحوق الذى نسف به ميرابو وروسبير النظام القديم ، نظام الاستبداد فى الملك ، والبذخ والاسراف فى عيشة الملوك والأمراء والأشراف ، فى الوقت الذى كان سائر أفراد الدولة يتضورون جوعاً

ومنذ استكشاف البخار وامتداد لهيب الثورة الصناعية الى كثير من الامصار ، أخذ التفكير فى التطور والتحرر من القيود والاغلال ، ولا يزال يجاهد فى هذا السبيل الى اليوم . ولا يزال تفكير الأغلبية من السكان فى كثير من البلدان رجعياً مظلماً ، ولا تزال أمم فى هذا القرن العشرين تعيش فى تفكيرها فى القرون الوسطى

ولنبحث الآن فى أهم الأسباب التى تدعو الى التفكير غير العلمى :

(١) أول هذه الأسباب هو جهل الحقائق وأقصد بذلك على الأخص عدم البحث عن الحقيقة ، والواقع كما هما . اذ كيف يتسنى مثلا لمن يجهل نسبة الجرائم المئوية أو الطلاق أو الزواج أو المواليد أو الوفيات أن يفكر تفكيرا علميا فى هذه المسائل الاجتماعية وأمثالها ؟

وكيف يتسنى لمن لا يعرف شيئا عن مقدار ما يخص الفرد الواحد فى مصر من الثروة العقارية والمنقولة ، وما يقابل ذلك فى عدد يذكر من بلدان العالم أن يحكم اذ كانت مصر حقاً غنية أم فقيرة ؟

أو كيف يتسنى لمعلم مثلا أن يقول أن الطالب المصرى أذكى من سائر طلبة البلدان الاخرى ، ما لم تتوافر لديه أرقام يوثق بها ، يوازن بها بين نتائج اختبارات الذكاء هنا وهناك ؟

وكان الأغريق على تقصيرهم فى الفكر العلمى ميالين للبحث عن الحقيقة ، منتصرين للحق لهم كان أو عليهم . لذلك كان اذا اشتد الجدل بين ارسطو واستاذه أفلاطون كان يقول ارسطو « ان افلاطون عزيز على محبب الى ولكن الحقيقة أعز وأحب . وكان

فى ذلك يشبه بروتوس صديق القصر الرومانى فى قوله « اننى أحب القيصر كثيرا ولكنى أحب روما أكثر »

(٢) ولكن الجهل ليس السبب الوحيد الذى يعزى اليه العجز عن التفكير الصحيح . فقد يلم المرء ببضع وقائع ولكن لقلة عددها لا يمكن أن تتخذ دليلا على ما يراد بلوغه من النتائج ، وما يراد اصداره من الاحكام . وأمثال ذلك كثيرة . قال لى أحدهم مرة أن المرأة الروسية غير جميلة المنظر فقلت له : هل كنت يوما فى تلك البلاد . قال كلا بل عرفت مرة أسرة روسية كانت تقطن منزلا بجوارنا فى سان استفانو . فهل يمكن ايها القارىء لمفكر أن يحكم على جمال الروسيات (وعدد سكان تلك المملكة الواسعة أكثر من ١٥٠ مليون نفس) بمجرد مشاهدة أسرة واحدة أو حتى خمسين أو مئة امرأة ؟

وهل يمكن الحكم على حقيقة المرأة المصرية ببضع نسوة حافيات الأقدام قذرات الثياب يراهن سائح أوربى فى الساعات القليلة التى يقضيها فى مصر ؟ وربما كان هذا السبب أدق بكثير من السبب الأول . فقد وقع فيه الكثيرون من العلماء قديما . كأرسطو مثلا فأنه على غزارة مادته وضربه بسهم وافر فى جميع العلوم فى عصره فأنه عاش ومات وهو يقول أن اسنان المرأة أقل عددا من أسنان الرجل ، ويظهر أنه حكم على كل النساء والرجال بموازنة عدد أسنان أمه أو زوجه بعدد أسنانه ويحتمل أنه لم يكلف نفسه مؤونة العدد أبدا

(٣) ومن هذه الأسباب وأهمها التجارب ، وتقصير المفكر عن القيام بها أما بنفسه ، أو بواسطة الغير من الذين يوثق بهم . وقد سبقت الأشارة الى روجر بيكون ، وسر فرنسيس بيكون وجليليو الذين كانوا ينادون بأعلى صوتهم قائلين « جربوا ياقوم . جربوا بأنفسكم قبل أن تصدروا أحكامكم » . والاعتماد على التجارب كوسيلة وأساس للتفكير العلمى أمر حديث العهد . فقد كان قدماء الأغريق على غزارة بحوثهم ، وسعة اطلاعهم وعميق تفكيرهم ، تنقصهم هذه الوسيلة . وربما كان من أهم أسباب هذا النقص احتقارهم الاعمال اليدوية ، وشغفهم بالبحث الفلسفى والمناقشة المنطقية . وقد أضاف أرسطو على هذين الملاحظة ، ولكنه رغم مئات الكتب التى وضعها فى سائر

العلوم ، فأنه لم يخطر بباله أن يتخذ التجارب العملية وسيلة للحكم الصحيح حتى فى ابسط الأشياء . وكان هذا العجز سببا من الأسباب التى جعلت الأغريق فقراء فى المقاييس والآلات والأجهزة العلمية . لذلك كان أرسطو يقيس الزمن بغير ساعة ، والحرارة بغير ترمومتر والضغط الجوى بغير بارومتر ، وكان يرصد النجوم بغير تلسكوب ولم يكن لديه الا المسطرة والفرجار

قد يقال أن هـذه الآلات لم تـكن قد اخترعت فى ذلك العصر . والجواب على هذا أن عدم الميل الى التجربة ، واحتقار الفلاسفة والمتعلمين للاعمال اليدوية كانا من أهم الأسباب التى منعت الأغريق من اختراع شىء منها ، مع شدة حاجتهم اليها فى ذلك العصر . ومن الغريب أن أرسطو كان يعتقد أن للمرء ستة عشر ضلعا ، ثمانية ضلوع فى كل ناحية ، ولم يفـكر يوما فى عدها . ومن الغريب أن التجارب ظل أمرها نسياً منسياً حتى جاء روجر بيكون وفرنسيس بيكون وجليليو كما ذكرنا . وهذا الأخير يذكرنا بواقعة حال طلمية يجدر بنا أن نذكرها كلما تحدثنا عن التفـكير العلمى الصحيح . وذلك أن أرسطو كان يقول أنك اذا أسقطت جسمين مختلفى الوزن من ارتفاع معلوم ، فأن الجسم الثقيل يصل الى الأرض قبل الخفيف ، وأن النسبة بين سرعتهما فى النزول تساوى النسبة بين وزنيهما . قال هذا ارسطو فى القرن الرابع قبل الميلاد ، ولم يناقشه فيه الحساب أحد، وظل العلماء يتناقلونه فى مؤلفاتهم وأقوالهم ، ويأخذونه حجة لاتقرع ، وقضية لايتنازع فيها انسان ، حتى أواسط القرن السابع عشر للميلاد (أى بعد الفى سنه) حينما وقف جليليو وكان أستاذا فى جامعة بيزا فى ايطاليـا ، ينـكر على أرسطو قوله ، ويخطئه فثار الناس فى وجهه ورماه العلماء بالجنون والزندقة . فـكان جوابه بسيطاً . قال لهم هلموا بنا ياقوم نصعد الى برج بيزا (البرج المـائل) لنلقى بحجرين ذى وزنين مختلفين ونشاهد النتيجة بأعيننا . فأجابوه بكل تبجح كلا ورفضوا مشورته بدعوى أن ارسطو لم يقم بتجربة كهذه وأن العلماء كلهم نقلوا ماقاله ارسطو فى كتبهم وآمنوا به . وأخيرا صحصح الحق وذهب الباطل وأقيمت التجربة على مرأى من الجميع بعد رفض شديد ، واتضح أن الحجرين يمسان الأرض فى وقت واحد بغض النظر عن ثقليهما

ولما اخترع جليليو المنظار «التلسكوب» ألقى على رؤوس العلماء قنبلة أخرى ، وهى أنه قال أنه شاهد نقطا فى كلف الشمس . فكذبه الناس بدعوى أن أرسطو لم يذكر ذلك فى كتبه ولما أن دعاهم الى قمة البرج لرؤية هذه البقع بواسطة المنظار رفضوا ذلك بتاتاً مرة أخرى ر ا ببدعة التجارب التى ابتدعها جليليو . وهكذا جاهد هذا البطل بطل التفكير الحر حتى وضع اساس التفكير العلمى الحر ودعا الناس الى التجربة قبل الحكم

وهذا يذكرنا على الدوام أن الحقيقة دائمة التغير . أى أن بقاء المعارف والوقائع العلمية على ماهى ضرب من المحال وليس من العيب أن يخطىء المرء فى الوصول الى النتائج بل العيب ألا يسلم بخطئه فيما اذا اتضح له سواء السبيل . فقد كان ارسطو أيضا يظن فى زمنه أن الجنين تلقحه البذرة المنوية ، وكان لايفرق بين الأوردة والشرايين « فضلا عن جهله بعدد أسنان المرأة وعدد ضلوع الرجل كما أسلفنا » وكان يعتقد أن الدماغ يساعد على تبريد الدم . ولكنى اعتقد أن أرسطو لو بعث اليوم من عالم الأموات لرجع عن خطئه « والرجوع الى الحق فضيلة » وآمن بالعلم . وبمناسبة اعتقاده فى وظيفة الدماغ أقول أن العالم غير رأيه فى وظيفة الدماغ كثيرا فى العهد الأخير . فعلماء النفس يشكون فى أنه مركز ما نسميه العقل . وبعد ذلك أخذوا يشكون فى وجود العقل بالمرة ويعتقدون أنه كلمة خيالية ككلمتى الروح والضمير

منذ سنوات عديدة ظلت جرائد نيويورك تفسح اظهر مكان فيها لأخبار قرد حل ضيفا كريما فى فندق ولدورف استوريا مع سيدته وهذا الفندق أكثر فنادق نيويورك ارستقراطية . وكانت السيدة تقدم اليه البيض والحلوى واللبن واللحم والشاى كأنه انسان وشاع بين الجميع ان القرد دانيال هذا شغوف بالسيدات ، فهو لايكاد يرى سيدة حتى يتأبط ذراعها ويأخذ فى تقبيلها ومداعبتها . وجزم الجميع على أن دانيال هذا به ميل جنسى للنساء كالرجل . فتوجه بعض أساتذة الجامعات الى الفندق وأخذوا فى مراقبته واقامة التجارب العدة حتى يقفوا على حقيقة الأمر . وما لبثوا الا أن أدحضوا تلك المقتربات لأنهم استكشفوا ان ذلك القرد انما يحب النساء دون سواهن للرائحة الذكية التى تنبعث من ملابسهن . وفعلا قاموا بصب مقدار من الروائح العطرية على ملابس حارس زنجى فناله من « المصمصة » والمداعبة ما نال جميلات النساء

(٤) عدم التسامح أو تعود عدم احترام أراء الغير ممن يخالفوننا مبدأ أو جنسا أو عقيدة من الأسباب التى تفسد على الناس التفكير العلمى الحر . وا كتفى فى هـذه المسألة بأن اذكر مثالين أحـدهما استمده من امريكا والآخر من تركيا ويرجع تاريخ الأول الى نحو ثلاثة أعوام . والثانى الى أقل من عام . أما المثل الأمريكى فاستعرته من كنيسة روكفلر فى نيويورك «ومن غرائب الصدف أن هذا المثال جاء مناسبا المقام لأننا كثيرا ما الحنا فى سياق هـذا المقال أن الـكنيسة كانت معقلا للتعصب على والقضاء التفكير العلمى الحر . بنى روكفلر كنيسة على ضفة نهر الهندسون انفق على بنائها أكثر من مليون ريال وأودع فيها من الفخامة والجلال والروعة والفن الجميل ما جعلها تضاهى أجمل كاتدرئيات العالم القديم ، وعين لها أكبر وعاظ أمريكا قسيساً . ولـكنه خرج فى زخرفهـا عن التقاليد المعروفة ، فوضع فيها تماثيل ولوحات فنية ثمينة تمثـل مؤسسى جميـع أديان العالم من بوذية وكونفوشيسية وموسوية ومحمدية ومسيحية اعترافا بما لهم جميعا من المكانة والاجـلال والفضـل على الانسانيـة ، وأن اختلفوا فى عقـائدهم وذهبوا فى مبادئهم مذاهب شتى

أما المثال التركى فلا بد أن نذكر ما نقلته الينا التلغرافات اكثر من مرة وما اشار اليه مكاتب المقطم من استانبول وهو أن بقايا الصور والتماثيل الدينية فى جامع صوفيا حالا (وكنيسة القديسة صوفيا سابقاً) التى طمست طمساً مؤقتاً بعـد استيلاء العثمانيين على القسطنطينية ، أزيح عنهـا الستار بطريقة فنية محافظة على مدلولها التاريخى وقيمتها الأثرية ولعل نهاية التسامح أن نشاهده صور وتماثيل مسيحية فى مسجد اسـلامى

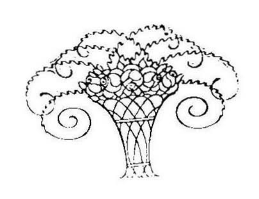
وفى كل من هاتين الواقعتين مثال بديع فى التفـكير العلمى الحر الذى لم يقف اختلاف العقيدة عقبة فى سبيله

ولنعد الان برهة الى فولتير حتى نتلقى عليه درساً فى التسامح . فقد كان هو وجان جاك روسو على طرفى نقيض فى آرائهم الفلسفية من بعض الوجوه ، مع اتفاقهما فى التفـكير الحر . وكان كلما حمى وطيس الجدل بينهما يقول فولتير عبارته المأثورة ، التى يجدر بنا أن ننقشها بماء الذهب الصافى على رقاع من الحرير الغالى ونزين بها مدارسنا ومعاهدنا وأنديتنا وهذا القول هو : « لا أوافق على حرف واحد مما تقول ، ولـكنى سأدافع حتى الموت عن حقك فى الأدلاء به »

(٥) ومن الأسباب التى تفسد التفكير العلمى التحايل على الأدلة ؟ وتلمس الأسباب تبريرا لموقف ، أو تعزيزاً لقضية ، أو دعما لبرهان ، او توصلا لحكم من الأحكام . وهذا ما يسمونه Rationalization ولدينا من هذ النوع امثلة كثيرة ، غير ان فى ذهنى من اخبار هذا العام السائرة ، مثال من المانيا . أراد أسقف المانى أن يبرر سياسة النازى تجاه الساميين ، فلم ينظر للمسألة من ناحيتها السياسية ، ولا من جهتها الاقتصادية أوالسلالة ولكن أراد أن يبقى فى حدود اختصاصاته الدينية ، فعالج هذا الموضوع القومى من الناحية الدينية ، وأفتى أن اضطهاد اليهود لاغبار عليه ولا تثريب ، بدعوى أن المسيحية برمتها قائمة أسسها على انقاض الاضطهادات — تعليل غريب معكوس

ومن الحكايات الجميلة التى تركها لنا فولتير فى هذا النوع من التفكير حكاية أحد أكاسرة الفرس وطبيب العيون المصرى هرميس . أصيب أحد أكاسرة الفرس برمد فى عينيه فاستدعى طبيبا مصرياً كان مشهوراً فى ذلك الحين واسمه هرميز وما كادت تطأ قدماه بلاد الفرس حتى بالغ الناس فى استقباله والاحتفاء به وتكريمه غير أنه عجز عن وصف الدواء الشافى ، ولما سئل عن السبب مع شهرته الواسعة ، أجاب قائلا لأن هذا المرض غير قابل للشفاء متى أصيبت به العين اليسرى (كما فى هذه الحالة) . فغضب الملك ولو أن الطبيب المصرى ظل فى ضيافته . وحدث بعد أسبوع أو أكثر قليلا أن المريض تعافى مصادفة وبغير علاج ، رغم أن العين المصابة هى اليسرى . ولما أن سئل الطبيب عن هذا ألف كتاباً ضخماً فى الحال برهن فيه على أن هذا المرض كان يجب مطلقا الا يشفى على ان هناك خطأ جوهرياً — ولكن ملك الفرس رفض قراءة الكتاب رفضاً باتاً

امير بقطر



رحلة الروح الى الفردوس

عند قدماء المصريين

فى الحجرة الداخلية بمقبرة توت عنخ آمون لا يزال تمثال ابن آوى المصرى واقفاً منذ ثلاثين قرناً يحرس المومياء . وفى هـذا ما يمس عقيدة من أقدم عقائد العالم الخاصة بمصير الروح . فقد كان المعتقد أن الانسان بعد أن يموت ، وكذلك وهو حى ، فى حاجة دائمة الى رفيقه الأمين وهو كلبه الذى يحرسه ويدافع عنه أمام أعدائه من انسان وحيوان ويكون قائده ومرشده عندما يهيم فى الارض باحثاً عن طعامه ومسكنه

وكان القدماء يعتمدون على الثعلب لـكى يهديهم الى مكان الأسد لصيده والثعلب من فصيلة الـكلب . والـكلب هو الحيوان الأول الذى استأنسه الانسان واتخذه إلهاً يعبده . ويقول هيرودوتس أنه كان عنـد ما يموت كلب أليف عند قدماء المصريين يحزنون عليه حزناً شديداً ويحلقون رؤوسهم وكل أجسامهم ويدفنونه فى قبر مقدس . ومما لا شك فيه أنهم لما رأوا الثعلب المفترس يحوم حول القبور فى الليـل اعتبروه كلب الموتى وقدسوه كالأله « انوبيس » . وكثير من الشعوب القديمة والحـديثة يعتقدون أن نباح الـكلب فى الظلام يشير الى قدوم إله الموت خلسة

وكان انوبيس « الـكلب المقدس » مرشد الارواح وفاتح الطرق وقائد الموتى فى المسالك المظلمة المقفرة التى تؤدى الى عالم الفردوس الغامض

وفى عهد توت عنخ آمون صار للأله انوبيس صفة مزدوجة ، ففى القبر كان الحارس الذى يقف أو يرصد بجوار المومياء ويقول « جئت لاحرس اوزيريس » أى فرعون الميت . وبصفته الثانية كان يرافق الروح الى الفردوس السماوى . ويرجع ذلك الى وجود عقيدتين مصريتين قديمتين : الأولى عقيدة اوزيريس التى تقول بوجود الفردوس فى الغرب ، والثانية خاصة بالذين يعبدون الشمس ويعتقدون أن الفردوس السماوى فى الشرق . والنزاع

القديم بين العقيدتين يتضح من النقوش التى حفرت على القبور فى عام ٢٧٠٠ ق.م. حيث كانوا يكتبون « احترس لئلا يأخذك التيار الى الغرب فان الذين يذهبون هناك لايعودون ثانياً » بينما كتبوا عبارة أخرى ترجمها المستر برستد حيث ينصحون للميت أن يذهب الى الغرب. ويظهر أن العادة التى اتبعت قديماً وهى تقطيع جثة الملك اوزيريس عند دفنه كانت ترمى الى اطلاق سراح الروح كى تذهب غرباً تحت قيادة الكلب المقدس فى أثناء الليل ثم أصبحت هذه العادة مكروهة جداً كما جاء فى كتاب الوفاة حيث تقول المومياء « أن راسى سوف لاينفصل عن رقبتى وسوف لاينقطع لسانى ... أن جسمى متين لايتطرق اليه الفساد »

وقد اتضح أن تلك العادة المخيفة عادة تقطيع جثث الموتى كان يستعملها سكان شمال افريقيا الذين غزوا أوربا فى العصور القديمة وكانوا يدفنون رؤوس موتاهم فى كهوف باڤاريا ويجعلون الوجه نحو الغرب إشارة الى جنة الغرب التى فتحها لهم أول رجل مصرى أطلق عليه اوزيريس وذلك بمعونة كلبه الأمين

ولم نجد فى النقوش المصرية القديمة تفاصيل رحلات الارواح الى جنة الغرب ولكن الظاهر أن هذه الارواح كانت تخترق الصحراوات القاحلة وتتسلق الجبال الشاهقة وتخوض الترع وتحارب فى أثناء هذه الرحلات الوحوش المخيفة الهائلة والافاعى التى تخرج من أفواهها النار الى غير ذلك من الاهوال التى يتغلب عليها الميت أو يهرب منها بفضل مساعدة كلبه الذى يرشده الى الطريق الأمين الى أرض السعادة والهناء

أما العقيدة الثانية عقيدة الشمس وجنة الشرق فقد أعطتنا تفاصيل كثيرة عن هذه الرحلات كما شرحت جملة اراء مختلفة عن الحياة بعد الموت

ومن أجمل العقائد القديمة أن فرعون عند ما يموت يعود طفلا مرة أخرى وترضعه الهة الامومة وقد ترجم الأستاذ برستد بعض النقوش فى الاهرام فوجد فى أحدها ما يأتى : — « أن هذا الملك يعرف أمه » ووجد فى أخرى استعطافاً لهذه الالهة « أيتها الأم اعط ثدييك لهذا الملك ودعيه يرضعهما » ووجد أخرى حيث تقول هذه الأم « يا ابنى.. يا ملكى... هاك ثديى أقدمه لك لكى ترضع وتعيش يا ملكى مادمت صغيراً »

ولكن هذه الفكرة فكرة العودة الى الطفولة قد تلاشت فى عهد الاسرات الاولى إذ أن التحنيط كان ينتشر تدريجياً فى ذاك الوقت وكان جسم فرعون يحفظ بالتحنيط لكى

يعود هو نفسه فيبعث حياً فى العالم الآخر السماوي. وقد أمكننا أن نتبع جملة عقائد مختلفة عن كيفية الصعود الى السماء فكان بعضها يقول بوجود سلم مثل الذى رآه يعقوب فى نومه موضوعاً على الارض يصل طرفه الى السماء . وفى بعض النقوش على الاهرام وجدنا الآلهة يثبتون معاً هذا السلم ويدعون الملك للصعود الى السماء

واخرون يعتقدون ان الفرعون كان يرفع الى السماء على أجنحة الهواء اويتسلق عمودا من الدخان حتى يصل الى سحابة يتخذها كمركبة . فبينما نقرأ فى بعض النقوش « انه طار على أجنحة السحب الى السماء » نجد فى الاخرى « انه يصعد الى السماء على دخان البخور المحترق »

وفى كثير من الصور المصرية نجد الروح ترسم على شكل طائر له رأس انسان . وفكرة وصول الروح الى السماء فى شكل طائر نشأت فى عهد بناء الاهرام عند ما كانوا يعتقدون ان الآلهة تسبح مثل النجوم فى الفضاء المظلم

وفى بعض الرسوم القديمة جدا نجدهم مثلوا الهة الأمومة ترفع الفرعون الى الفردوس وقد التف جسمها حول العالم كقبة السماء وامتدت يداها ورجلاها تحمل اركان العالم الاربعة

وبعد ان يصل الفرعون الى السماء (وكانوا يعتقدون انها من حديد) كان يجب ان تفتح له الأبواب وذلك بواسطة ايات سحرية يزودونه بها لكى تضمن له ذلك ولا يمكنه ان يدخل تلك الأبواب الا عند الفجر . وكان بيت الشمس يقع فى الأفق الشرقى وعند ما تفتح أبواب ذلك البيت تشرق الشمس فيدخل الميت ويرافقه الأله هوروس على شكل طائر اخضر يسمى نجمة الصبح

وتقول عقيدة أخرى انه عند الفجر تظهر للروح مملكة « رع » أى الشمس فيأخذ هوروس الروح الى بحيرة فى وسط « ميدان الحياة » وفى هذه البحيرة توجد جزيرة تنمو فيها « شجرة الحياة » بجانب بئر يسمى أيضا « بئر الحياة » وتوجد صور كثيرة لشجرة الحياة ترى فى بعضها الربة «هاتور» خارجة من هذه الشجرة تحمل بيدها الاولى اناء وبيدها الثانية فاكهة وخبزا واحيانا نراها تسكب ماء الحياة من هذا الأناء فيتلقاه الفرعون بيديه المبسوطتين

وقد اشارت بعض النقوش فى الأهرام الى الطعام الذى يتناوله الفرعون فى الفجر عند ما يصل الى السماء فيمكنه أن يأكل من ثمار شجرة الحياة ويشرب من ماء الحياة بل

يأكل كل ما يريد مما لأله الشمس من البقر والغنم والخيرات وغير ذلك

وفى احدى الصور نجد فرعون قد دخل سفينة رع بعد أن تغلب على كل أعدائه ومنافسيه فيجد فى السفينة كاتب الأله رع فيكسر لوحته وقلمه ويطرده من السفينة ويصبح بعد ذلك رفيق الأله وامين اسراره

وفى كل يوم عند شروق الشمس نجد فرعون قد ابحر فى نهر النيل السماوى الذى تجرى مياهه من الشرق الى الغرب وعند الغروب تدخل السفينة فى جزء من النيل يجرى تحت الأرض له اثنتا عشرة منطقة تقطع كل منطقة فى ساعة . فالساعة الأولى تدخل فى ظلام دامس ولكن هذه المنطقة تضاء بواسطة اله الشمس الذى يستقبل الأرواح بمختلف طبقاتها ويرحب بها وعند ما يذهب الى القسم الآخر تبكى الأرواح اوزريس فى الظلام وتقطع شعورها من شدة الحزن

وفى احدى المناطق نجد أحواضا من النار حيث يعذب الخطاة لأنهم فى اثناء حياتهم على وجه الارض كانوا أعداء رع فقد كفروا به وخالفوا أحكامه فهذا يقطع رأسه وذاك يلقى فى هوة سحيقة وأخر يوضع فى اتون من الماء المغلى أو النار المتقده الى غير ذلك من صنوف التعذيب

وعند مرور الأله رع فى هذه المناطق يهلك كل أعدائه ثم يخرج ومعه رفيقه فرعون فيذهبان الى ميدان الحياة حيث يستريحان وينتعشان ثم يعودان من أبواب الفجر الى العالم فيحكمانه وينتشر نورهما فى انحائه

وكان المعتقد أن جنة الشرق لايدخلها سوى فرعون وحده ولكى يضمنوا له طول العمر كتبوا تلك التراتيل والآيات السحرية على مقابر الأهرام . فكما انه حكم فى الأرض كأله فكذلك بعد ان يموت يكون رفيق أو نائب آله الشمس الذى يدير سير الفصول ويبارك فيضان النيل ونبات الحقل . ولكن بعد أن اتحدت عقيدتا الشرق والغرب اصبح فى امكان كل الذين تحنطوا ان يصلوا الى ميدان الحياة أى الفردوس السماوى

والملك اوزيريس الذى حكم قبل تأسيس الاسرات المالكة كان أول من اكتشف الطريق الذى يؤدى الى الجنة الواقعة تجاه مصر فى الغرب وهذه الجنة محاطة بالتلال ويرويها نهر النيل السماوى فادخل فيها اوزيريس زراعة الحبوب وأشجار الفاكهة وهناك اصبح قاضى الموتى . وكان يجب على الأرواح ان تشتغل هناك كما كانت تشتغل على الارض الا أنها كانت تكافأ بسخاء اذ ان الحقول وأشجار الفاكهة كانت تعطى ثمارا

أكثر مما تعطيه ارض مصر حتى عمت السعادة وامتلأت كل القلوب بالهناء والسرور ولكن هذا الفردوس كان محرما على الخطاة ومخالفى القانون

وقد ظهرت الفكرة فى مصر قبل ستين قرنا مضت ان الخلاص لا يأتى الا بالكد فقبل ان يسمح للميت بالدخول الى ذلك العالم الغنى الجميل يختبر اولا فيدخل فى محفل كبير الى بهو القضاء حيث يجلس اوزيريس وبيده قانون الايمان ويقف بجانبه كل من الآلهتين ايزيس ونفتيس وحول البهو يجلس آلهة مديريات مصر . وفى الوسط الميزان المظيم ميزان العدالة الدقيق حيث يوزن قلب الميت وعقله وضميره بواسطة له الألهه هوروس وراسه كرأس الصقر وكذلك الأله انوبيس ورأسه كرأس ابن آوى بينما الأله توت ورأسه كرأس ابيبس (أبو قردان) يقوم بكتابة السجل وبجانب الميزان يرصد الجلاد وهو برأس تمساح وجسمه كجسم عجل البحر وأرجله كأرجل الاسد وهذا يبيد الخطاة ويهلكهم يدخل الميت فى هيبة ووقار الى هذا البهو تحت قيادة هوروس وفى سكون رهيب يسجد ويحيى اوزيريس الصامت اله الحق ثم يدافع عن نفسه ويعلن براءته من الاثنتين والأربعين الخطيئة التى ضمنها الكذب والغش والسرقة والفجور والقتل والظلم والجبن وتحويل مياه الرى من أرض الجار واطفاء النار المقدسه والتعرض للاسماك والطيور المقدسة ومواشى الآلهة . وبعد سماع هذا الدفاع يظل أوزيريس وباقى الآلهة صامتين وفى هذه اللحظة الرهيبة يوزن القلب فاذا وجد الميت بريئا يؤخذ الى الفردوس واذا وجد خاطئا ومخالفاً للقانون يهلك أو يتحول فى الحال الى خنزير اسود وهو حيوان يمقته المصريون ويساق الى حيث العذاب والفناء

وقد وجد الكهنة بابا للتخلص من هذا المأزق بأن أعطوا للميت جعلا محفورا فيه طلاسم سحرية تساعد فى اثبات براءته عند دفاعه عن نفسه ومن هنا يتضح ما تمتاز به العقيدة الخاصة بجنة الشرق فانها تعطى الخلاص لمعتنقيها بواسطة العلوم السحرية لا بواسطة الكد والتعب كما من عقيدة اوزيريس

وكثير من المصريين القدماء ومنهم من عاش قبل عهد توت عنخ امون بقرون كثيرة كانوا ينظرون بعين الشك الى وعود الكهنة فى سعادة الحياة الأخرى وينصحون الاحياء أن يتمتعوا بالحياة الى أقصى حدود التمتع حتى يأتى ذلك اليوم عندما لا تسمع المومياء فى قبرها أصوات البكاء والنحيب

عن الانجليزية
لدونالد ماكنزى

بباوى ميخائيل

الفاشية الايطالية

مالها وما عليها

في السياسة أزياء كما في الملابس .. فان قياصرة روما أخرجوا للعالم زي «الامبراطورية» فتبعه العالم ثمانية عشر قرناً كانت فيه الملوكية المطلقة المستبدة هي الزي الشائع في جميع أنحاء العالم في هذه القرون الطويلة. ثم أنشأت انجلترا « الحكومة المسئولة » فكانت مطلب الامم في القرن التاسع عشر، أعني الحكومة المسئولة من الشعب ممثلا في مجلسين في أغلب الاحوال ـ مجلس النواب ومجلس الشيوخ

وفي أثناء نشوة العالم بالحكم الديموقراطي استمرت الحرب العظمى، ثم تلتها هذه الأزمة الطاحنة التي نعانيها إلى وقتنا الحالي، وليس هناك مثل هذه الازمات كاشفاً لمواطن الضعف في النظام الديموقراطي، لأنه في الواقع لكل نظام حسناته كما له سيئاته، وسيئات الديموقراطية لا تكشف إلا عندما يدلهم الخطب وتسود الفوضى، فيحتاج الامر إلى رجل فرد يتولي زمام الحكم

ولذلك عقيب الحرب العظمى ظهرت الفاشية — وأول ماظهرت في إيطاليا - ورغم مافيها من مساويء سنذكرها تباعا، فانها في الحقيقة نجحت في إيطالياً نجاحا لا ينكره غير مكابر، وهذا النجاح الذي أصابته جعلت دول أوربا تنظر اليه بعين الاعجاب، فأصبحت الفاشية من زي العصر الحاضر في نظام الحكم والسياسة

تلت الفاشية في إيطاليا، الفاشية في ألمانيا، وهاقد أتتنا الانباء بفوزها العظيم، ذلك الفوز الذي ستكون له آثاره في أوربا كلها، لأن هناك أحزابا فاشية في كل من النمسا وانجلترا وفرنسا وبعض دول البلقان، وهذه الاحزاب كانت ولا تزال الي الآن تتردد وتخشى الظهور والحركة، ولكنها بعد هذا الفوز الذي حازته ألمانيا سنسمع قريباً بحركاتها، كما أن الحكومات نفسها التي كانت تعارض حركات هذه الاحزاب ستفتر وتضعف في معارضها

فى الواقع ليس للفاشية معنى أو مبادىء ظاهرة إلا كونها وطنية ملتهبة ، ولذا فهى حزب الشباب ، زعماؤه من الشباب ، وقواده من الشباب ، وأفراده من الشباب . وكل شباب العالم الذى يتأجج وطنية يكون من نفسه حزباً ، ويتخذ له زياً خاصاً ، وينهج نهج الفاشيين فى إيطاليا وألمانيا

ولما كان منبت الفاشية هو إيطاليا ، فاننا سنتكلم عن الفاشية الايطالية ، وعن زعيمها الفذ موسولينى

فى أثناء الحرب العظمى كان لموسولينى أنصار ومؤيدون هم الذين بهم للدعاية إلى الحرب لما كانت الهمم خائرة والعزائم فاترة ، وعقب الهدنة اجتمع حوله الجنود السابقون فجعل يحذرهم من دسائس الشيوعيين وحيلهم . ومن منبر صحيفته « البوپولو ديتاليا » كان يتوسل الي الحكومة والي الامة أن تبذل مساعدتها فى سخاء للجنود الراجعين من الخنادق الدامية ، ولكن بالاسف كانت تذهب صرخاته سدى ، فكلا الحكومة والشعب أخذا يغرقان فى بحر من الخمول والخور

ولكن ما كادت تنقضى أربعة أشهر على ختام الحرب حتى شعر بضرورة الفاشية فكتب فى صحيفته ما يأتى : « يجب أن نعد أسلحة من حديد ، ورجالا من فولاذ ، ونضرب ضربتنا بلا رحمة » ثم أخذ يوالى الكتابة النارية ضد الحكومة لضعفها وقلة مبالاتها بالحالة التى وصلت اليها البلاد ، ووضع برنامجاً إصلاحياً طلب من الامة تنفيذه خدمة للذين خاطروا بحياتهم فى سبيل بلادهم

وقد كانت الحالة العامة وقتئذ فى إيطاليا على أسوأ ماتكون ، حيث دب فيها دبيب الثورة ، الثورة الشيوعية ، لأن النفس الايطالية الشاعرية النزاعة الى الكمال ، والتى كانت قد تبعت زعامة ولسن باخلاص واطمئنان ، لم تجد إلا الخيبة ، فتطلعت الى لينين فانفجرت الميول الثورية فى الامة والصحافة وأخذت تحي الشيوعية وتتنبأ بتحقيق المثل الاعلى علي أيدى الشيوعيين

ولما أرادت الفرق الايطالية المنتصرة فى الحرب أن تتظاهر فى شوارع روما ـ شأنها شأن الفرق الاخرى فى دول الحلفاء ـ منعها نيتى رئيس الوزارة خوفا من التحامها بالشيوعيين وأمر بهدم أقواس النصر التى كانت قد بنيت

وفى بعض المدن طرد المتطرفون أولي الامر وألغوا الضرائب وجردوا الملاك من أملاكهم ، وأبدعوا حرساً أحمر ليحل محل البوليس ، وانهالت الشتائم على أبطال الحرب من الجنود والقواد حتى والدات الجنود وزوجاتهم ، ونزعت أوسمتهم عن صدورهم ، وبصق على ملابسهم الجندية ، ولم يستطع الجنود والضباط أن يدافعوا عن أنفسهم ، لأن وزير الحربية كان قد أصدر أمره بمنعهم من حمل السلاح خوف الحرب الداخلية

هذه الاوامر المذلة ، وهذه الحالة السيئة التى وصل اليها رجال الجيش ، كانت مما لاريب من أهم البواعث التى حملت الجنود القدماء على الانضمام الى الطوائف التي كان موسولينى قد شرع فى تنظيمها ، ومن هنا بدأ تنظيم الحركة الفاشية

وفى سنة ١٩١٩ حدثت الانتخابات العامة ، فحث أتباع موسولينى زعيمهم على أن يخوض غمارها ، ولكن لما كان الوقت لم يكن كافياً لتنظيم جهودهم ، ولم يكونوا بالكثرة التى يمكنهم من أن يتغلبوا على الشيوعيين ، فانهم هزموا شر هزيمة فى هذه الانتخابات أمام الشيوعيين الذين فرحوا بهزيمته فدبروا له مأتماً للسخرية به ومشت هذه الجنازة فى شوارع ميلان مارة ذهابا وإيابا تحت نوافذ دار موسولينى يتغنون بالاغاني التى تغيظه . . وقد فرح نيتى رئيس الوزارة بانخذال موسولينى وبعث الشرطة لتفتيش مكاتب « البوبولوديتاليا » أربع مرات متوالية

ومن حسن حظ موسولينى وحركته أن دانونتسيو حافظ على احتلاله لمدينة فيومي التى أصبحت شعاراً لحركة الفاشية واجتماعاتهم . وفى تلك الاثناء أرسل الايطاليون المقيمون بالولايات المتحدة مليوني ليرة الى موسولينى لانهم كانوا يحسبونه ساعد دانونتسيو الامين لتنفق فى سبيل قضية فيومي المقدسة ، وباسم فيومي أخذت طوائف الفاشيين تؤلف فى كل مديريات إيطاليا وأصبح القميص الاسود الذى كان يلبسه بعض الجنود فى الحرب ، والذى اتخذه دانونتسيو لباساً رسميا لجنوده ، شعار الوطنية الجديدة أى شعار الفاشية

ومن ذلك الوقت نظم موسولينى أركان حرب مؤلفاً من ضباط إيطاليين سابقين — حاقدين على الشيوعية وعلى الحكومة التي أذلتهم ولم تنصفهم — حتى أصبحت

الفاشية حكومة ضمن حكومة ، وموسوليني على رأس جيش مسلح مدرب مستعد للهجوم والدفاع

فلما أعلن الشيوعيون - بموافقة جيوليتي - انتصار ثورة العمال فى إيطاليا واستولوا على المصانع رد عليهم موسوليني باصدار أمره للفاشيين بالهجوم . وحل أصحاب القمصان السود محل رجال الحفظ النظاميين الفاقدين لكل نظام وقوة ، وأحاطوا بالشيوعيين بسرعة وطردوهم من المصانع وأحرقوا أوراق صحفهم ودمروا أمكنة اجتماعاتهم . وتحت تأثير هذا الهجوم تهدمت الحركة الشيوعية فى إيطاليا ، فما كادت تعلن انتخابات سنة ١٩٢١ حتي نال موسوليني انتصارات باهرة ، ومن ثم أخذت الفاشية تنمو وتمتد ، وأخذ أنصارها — منتهزين فوضى الحكومة وضعفها — يتسلون بايقاع القصاص على خصومهم من دعاة الشيوعية بقص شعورهم وحلق لحاهم وحملهم على تناول جرعات كبيرة من زيت الخروع . .

وقد استعمل الفاشيون هذه الوسائل فى مقاومة الخلاعة والسكر وارتكاب الجرائم فنجحوا فيها نجاحا باهراً . وأخذوا ينذرون المجرمين بأنهم إذا قبضوا علي أحدهم متلبساً بجريمته انهالوا على رأسه بالعصى الغليظة فيصبح وهو أصلح للمستشفى منه للسجن . وعلق الفاشيون فى احدى المدن الاعلان التالى على الجدران « اذا وجدنا أحداً فى الشوارع فى حالة سكر جرعناه رغماً عنه نصف لتر من زيت الخروع ، وكل صاحب حانة يثبت لنا أنه يقدم الخمر للسكارى أو للصغار يجرع الجرعة نفسها ، ثم يجب علي كل صاحب حانة أن يضع فى مكان ظاهر من حانته زجاجة كبيرة من زيت الخروع تذكرة للناس ، ونحن فى هذا لسنا بهازلين »

وعلم الفاشيون فى بلدة أردنا أن الشيوعيين سوف يتخلفون عن صناديق الانتخاب ليضللوا الجمهور ، فعلق الفاشيون الاعلان التالى « كل من يتخلف عن الاقتراع يوم الانتخاب يجب أن يكون مريضاً ، وكل من كان مريضاً يحتاج الى شربة من زيت الخروع ، فكل من يتخلف عن الاقتراع سوف ينال الجرعة الاعتيادية من هذا المسهل» فاقترع كل الشيوعيين فى أردنا ولم يتخلف أحد منهم وفاز الفاشيون بأكثرية ساحقة

وكانت الفاشية حتى شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ فرقة وطنية ضد العناصر المتطرفة .

وكانت الحكومة وقتئذ ضعيفة عاجزة عن القبض علي ناصية الحال والمحافظة على حقوق الناس ، فأهملت القوانين واحتقرت ، وأصبح مجلسا النواب والشيوخ من غير سلطة فعلية أو كرامة ، ولم يكن فى إيطاليا إلا قوتان تتنازعان السلطة ـ قوة أصحاب المبادىء المتطرفة (الراديكاليين) وقوة الفاشية

وفى أغسطس سنة ١٩٢٢ تحولت الحالة تحولا فجائياً وان أعلن الراديكاليون إضراباً عاما بنوه على سبب تافه ، والواقع أنهم كانوا يريدون أن يقطعوا فى الامر ليعلموا قوة خصومهم ، فاستعملوا طريقة الاضراب ، وهى التي تشل حركة الامة حتى يختبروا قوة خصومهم فى الحيلولة دون هذا

والحال عبأ الفاشيون قواهم المنظمة لمكافحة الخطر الاقتصادى الذى يحيق بالامة من جراء الاضراب ، ووقف ميشيل بيانكى السكرتير العام للفاشيين فى جمهور مؤلف من ٢٠ ألف فاشى ووجه الى الحكومة الانذار التالى : « اذا لم تتخذ الحكومة التدابير الكافية فى الثماني والاربعين الساعة القادمة للقبض على ناصية الحال ، فالفاشيون سوف يفعلون ماتعجز عنه الحكومة »

وفى أثناء الثماني والاربعين الساعة المذكورة حصر الفاشيون قواهم فى منع الشلل الناشىء عن الاضراب فساقوا القطرات ونقلوا البضائع وأمدوا المدن والقرى بالطعام وحفظوا كل المرافق العامة من التعطيل . ولما انقضت مدة الانذار ولم تحرك الحكومة ساكناً قبض الفاشيون على ناصية الحال وخيروا المضربين بين الرجوع الي أعمالهم أو الذهاب الى المستشفى . . فعاد معظمهم الى العمل وهكذا قضى علي الاضراب وأخذت الامة تتنفس الصعداء من جديد

وهكذا اجتمعت الصفوف حول موسولينى ، بعد أن أفاقت من غفوتها ، وأصبحت الفاشية المنتصرة عقيدة لايطاليا الجديدة . وأضحت الشوارع تردد صدى « فليحى موسولينى » . .

وانهالت طلبات الانضمام الى جماعة الفاشيين فى شهور أغسطس وسبتمبر واكتوبر سنة ١٩٢٢ حتى بلغ أعضاء قسم المجندين فيها نصف مليون ، وعدد الفاشيين النظاميين مليونا وعدد العمال المنتظمين فى سلك العمال الفاشيين مليونا ونصف مليون

وفى ذلك الوقت قابل موسولينى وفدا من الفاشيين نخطبهم قائلا « إما أن نسلم زمام الحكم تسليما سلميا أو نحن نقبض عليه بأنفسنا ، فنزحف على روما ونشترك مع رجال السياسة المساكين المسئولين على الحكم فى نزاع نهايته النور أو الموت »

ولما تحقق لموسولينى، أن وراءه قوة تمكنه من تذليل كل العقبات أرسل رساله الي روما لتهيئة الجوله وتمهيد الطريق لتسلم زمام الحكم ، وزحف أعوانه على روما وسدوا مسالك جميع الطرق المؤدية اليها بجموعهم الزاخرة منتظرين الامر بالدخول الى روما الخالدة . وعندئذ أرادت وزارة فاكتا أن تعلن الاحكام العرفية ولكن الملك رفض اعلانها . وعندئذ سقطت الوزارة وأراد الملك أن يؤلف سلاندرا الوزارة ويشرك موسولينى فيها ولكن موسولينى رفض أن يكون فى وزارة ليس هو رئيسها . وعندئذ تنحى سلاندرا عن مهمة تأليف الوزارة ، فطلب الملك من موسولينى أن يؤلفها وكان الطلب بواسطة مندوبيه فرفض أن يحضر الى روما الا اذا وصله تلغراف من الملك بذلك . فكتب الملك يستدعيه ، فذهب على عجل ، وأمام ابواب المدينة الخالدة استعرض جنوده ثم دخل المدينة ظافراً فاتحاً من غير اراقة قطرة دم واحدة، ولما مثل امام الملك بقميصة الاسود حاملا مسدسه على جنبه الحى وفاه بهذه الكلمات « ألتمس الي جلالتكم أن تعذرنى على ظهورى بهذه الملابس ، لقد أتيت الى هنا من معركة لم يرق فيها دم »

هذه الاعمال التى قامت بها الفاشية لا ينكرها احد حتى ولا خصومها ولكن هل قامت الفاشية وتكونت كما تتكون الاحزاب السياسية فى البلاد الديمقراطية أعنى هل تركت الفاشية نفسها كحزب سياسى له مبدأ معين ، وبرنامج اصلاح معين وآمال فى الحكم معينة ، وطرحت هذه البرامج على بساط البحث مع برامج الاحزاب الاخرى ، فتختار الامة الايطالية بواسطة الانتخابات مايوافقها من البرامج فتؤيد حزبا دون آخر ، ويتولى الحزب الغالب أزمة الحكم فى البلاد ؟ هل فعلت الفاشية ذلك ؟

يجب إذن أن أوجز كيف سارت الحكومة الفاشية برآسة موسولينى فى الحكم وعلي أى مبدأ ، وفى أى طريق ، مدى هذه المدة التى تزيد على عشر سنوات كما يجب أن نقرر غير متحيزين ، أنه إذا كان هناك أي حسنة للفاشية ، فهذه الحسنات لا ترجع إلى الحزب وبرنامجه ، كما إذا كان هناك سيئات فهى لا ترجع الفاشية فى حد ذاتها

بل الفضل فى كل ذلك يرجع الي شخص فرد، هو المتصرف وهو الآمر الناهي، لا مرد لقضائه، ولا حائل دون رغباته. هذا الفرد هو موسولينى ذلك الشخص بل الزعيم الفذ، جم النشاط، صلب الارادة، ماضى العزيمة، الشديد النهم للسلطة المعتد بنفسه القوى الثقة بها

كانت خطب موسولينى عقب الزحف على روما فى اكتوبر سنة ١٩٢٢ كلها ملأى بالاوامر بالمحافظة على النظام، واحترام الغير، وتجنب المساس بالحرية الشخصية، إلى آخر هذه الوصايا السامية، ولكن هنا نتساءل هل بقى صادقا فى أقواله وأوامره ووصاياه ؟

فى أقل من سنة من تولى موسولينى الحكم قلب نظام الانتخاب بعد أن أدرك أن اجراء انتخاب حر لا تكون نتيجته المحتومة الا ابعاده عن السلطة. وتمت الانتخابات الجديدة فى أبريل سنة ١٩٢٤ وانتهى بها عهد الحرية البرلمانية فى ايطاليا

فما كاد يجتمع البرلمان حتى ألقى النائب ماتيوتي فى ٣٠ مايو سنة ١٩٢٤ خطاباً شديد اللهجة ضد موسولينى وحكومته. ثم التفت فى نهاية خطابه الى زملائه المعارضين القليلين وقال لهم باسماً: والآن يا أصدقائى فى وسعكم أن تعدوا معدات جنازتي . . . وفعلا خر النائب الجرىء بعد عشرة أيام من خطبته صريعاً برصاص الفاشيين. وكانت محاكمة قاتليه فضيحة محزنة لم يقتصر الامر فيها على حماية المحرضين بل أن الفاعلين الاصليين أطلق سراحهم بعد الحكم عليهم بأقل من شهرين ؟

ولقد كانت مثل هذه الفضيحة وحدها كافية لزعزعة أى حكومة فى أى بلاد حرة ولكن زعماء المعارضة ترددوا وجبنوا عن أن يضربوا ضربتهم القاضية خوف أن يلحقوا بزميلهم الجرىء النائب ماتيوتى. وكلما سولت النفس لنائب أن يجرؤ ويعارض ويحتذى بالنائب ماتيوتي يكون نصيبه ما أصاب ماتيوتي، وهذا ماحدث بالفعل للنائب أمندولا حيث ضرب ومات متأثراً بجراحه بعد آلام قاسية

وعلي الرغم من الثقة الاجماعية التى نالها موسولينى من أنصاره فانه كان يستشعر الخوف والقلق من بعض الصحف المعارضة التى كانت تنحى عليه باللائمة، فاستصدر فى يوليو سنة ١٩٢٤ قانونا يجيز فيه للحكام الاداريين أن يصادروا كل جريدة تنشر أخباراً كاذبة أو مثيرة للخواطر . . . وما اوسع كلمة اخبار كاذبة او مثيرة للخواطر . . . وفى

نوفمبر سنة ١٩٢٦ أنشأ المحكمة المخصوصة واجراءاتها أشبه ما تكون بالاحكام العرفية . وتخير قضاتها جميعا من رجاله وجعل اختصاصها النظر فى الجرائم السياسية . . وبذلك انقضى عهد الحرية الشخصية كما انقضى عهد حرية الصحافة من قبل

وعلى مثل هذه القواعد ومثل هذه القوانين قام النظام الفاشى وما زال قائما . والواقع أن موسولينى لم يحدث جديدا فى أساليب الحكم ولم يخلق منها نوعا غير معروف فالنظام الفاشى على عنفه وشدته ينقصه الابتكار

وبذلك ، وبذلك فقط ، استطاع موسولينى أن يوطد مركزه ويحشد من حوله جيشا هائلا من الانصار والاتباع أكثرهم راغب فى خيره أو خائف من شره . وأطلقوا على أنفسهم كلمة فاشيين التى لاتعنى أى معنى سام أو أى مبدأ من مبادىء السياسة أو الاجتماع أو الاخلاق بل هى متخذة من كلمة فاش Fasce وهى الشارة الرومانية القديمة وهى أعواد الحطب الملتفة حول الفأس وكانت رمزاً وقتذاك للسلطة . فاسمهم لا يعنى مبدأ ولا نظرية ولا شيئاً أصلا ، وحتى تحيتهم نقلوها من غير تعديل أو تبديل عن التحية الرومانية القديمة .وحتى قميصهم الاسود نقلوه عن قمصان جيش دانونتسيو الاديب المنتصر فى فيومي

والواقع أن الحزب الفاشى هو موسولينى ، وموسولينى هو الحزب الفاشى . ولا يدين الحزب بشىء آخر غير الاخلاص لزعيمه والفناء فى شخصه . بل لقد غير الحزب مبدأه أكثر من مرة طبقا لرغبة الزعيم ونزولا على ارادته . ولقد صرح واحد من رجاله يوما بأنهم زحفوا على روما وليس منهم من يدرك معنى الفاشية وأنهم حتى الان لا يدركون لها معنى . وصرح غيره بأن الفاشية لاتنطوى على غير الايمان بالزعيم وقدرته . فالحزب وأنصاره ونظامه لاتربطهم جميعا غير رابطة واحدة وهي الاخلاص والولاء لشخص موسولينى ، وموسولينى نفسه لايطلب من رجاله أكثر من أن ينزلوا له عن شخصيتهم فليس لهم أن يتحدثوا ويفكروا إلا بارادته ، وكل انتقاد لسياسته جزاؤه السجن أو النفى أو حتى الموت أحياناً . . !

وإننا نسمع كثيراً من مراسلى الصحف للاقطار المختلفة بعد مقابلاتهم لموسولينى ولوزرائه كيف أن وزراءه أنفسهم يتهربون من التحدث إليهم فى شأن السياسة العامة ، ولا حديث لهم غير التحدث عن أعمال وزاراتهم الداخلية من إصلاح وتعمير وغيرها

ناسبين الفضل كل الفضل لرئيسهم موسوليني ، والظاهرة الغريبة فى هؤلاء الوزراء انهم من الشباب الذين لايتعدون الحلقة الرابعة من أعمارهم والذين لم يتجردوا بعد من دائرة العواطف إلى دائرة العقل والمنطق

وإذا سمعت لخطبة من خطب موسوليني فى جمع من أنصاره ، وكثيراً ماترى ذلك على لوحة الشاشة البيضاء ، تري رجلا منقبض العضلات ، فى حركاته السلطة وفى مشيته الجبروت حتى إذا ما اعتلى منصة الخطابة فتح فما واسعاً ممتداً حتى أذنيه ، وأخرج صوتاً كقصف الرعد أو هدير الزوبعة ، وعلى جهلك باللغة الايطالية لايخيل اليك إلا أن كل كلامه أوامر ونواه ، وسرعان ما ينتهى من هذا الهدير فيرفع يده محيياً على الطريقة الفاشية ، ولكن فى الواقع لم تكن تحية بل هي إشارة بانتهاء الكلام والاوامر وبدء التنفيذ . فيتجهم السامعون ويستولي عليهم الخضوع والتسليم ، ولا يستيقظون إلا على صوت أحد الانصار « فليحى موسوليني » وعندئذ يرددون الهتاف رافعين أيديهم بالتحية الفاشية فيخيل اليك أنها ليست رد لتحية زعيمهم بل هى رفع اليد علامة الايمان والقسم بالخضوع والتسليم . . وهكذا سارت الفاشية ، وهكذا سار موسوليني فى أنصاره

إننا نسمع أن ايطاليا من أقصاها فاشية النزعة ، فهل الايطاليون جميعاً يدينون بالفاشية عن رغبة ومحض وارادة ؟ يمكنك الاجابة على هذا السؤال إذا علمت نظام الطبقات الفاشية وكيف تتكون هذه الطبقات

إن الطفل الايطالى عند مايبلغ السادسة من عمره ينتظم فى سلك ما يسمونه « الباليلاس » ويصبح فيها جندياً صغيراً يرتدى الملابس الرسمية الخاصة ، يحرك السلاح فى يده ويسير على صوت الطبول ، ونحن نعلم ماهو مدى شغف الاطفال بملابس الجند والطبل والمشيات العسكرية . فكل طفل تتحقق آماله الصبيانية بهذه الملابس وهذا النظام وهكذا يصبح أطفال إيطاليا من أقصاها إلي أقصاها ـ بارادة والديهم أو رغم ارادتهم ـ جنوداً فى جيش « الباليلاس » حتى أصبح عددهم زيادة على المليونين وهذا العدد يزداد دون انقطاع

وعند ما يبلغ الطفل الرابعة عشرة يصبح جندياً من جنود طليعة الحرس ويقسم يميناً هذه صيغتها « أقسم بالله بأنى أطيع موسوليني دون جدال أو مناقشة وأن أضع

كل قواى فى خدمة الثورة الفاشية وأن لا أضن عليها بدمي » . . وياله من قسم

وعند ما يبلغ الثامنة عشرة من عمره ينتقل من هيئة طليعة الحرس إلى صفوف شبان الفاشيين

وكذلك يمر شباب الفتيات بأدوار مشابهة للأدوار التي يمر بها شباب الذكور السالف الذكر . وهن يلقمن بنوع خاص فضائل النظام الفاشى ، ويطبع فى قلوبهن أن خير وسيلة لخدمة وطنهن هى أن يكثرن من انتاج الأولاد ، وطبعاً الاولاد الفاشيين . . .

أما العمال وكيف يصبحون فاشيين فأمرهم أغرب من هذا . . فانه عند مايظهر عشرة فى المائة من عمال أية مؤسسة اقتصادية رغبتهم فى أن يكونوا لانفسهم نقابة — فاشية طبعاً — تصبح هذه النقابة ذات وجود قانونى . ومن هذه اللحظة يكون لها حق تمثيل جميع العمال حتى غير المنضمين إلى عضويتها ، فتوقع العقود باسمهم ، وتقوم مقامهم فى كل ما يتعلق بالدفاع عن مصالحهم الفنية . وهنا نجد مبدأ الفاشية هو مبدأ سيادة الاقلية ، وهو كبير الشبه بما يشاهد فى روسيا الشيوعية . متجلياً فى أجلى مظاهره . وكذلك إذا رغب عشرة فى المائة — وما أبسط وجود هذا العدد — من أصحاب الاعمال فى حرفة من الحرف فى أن يكون لهم نقابة فان هذه النقابة تتكون وتأخذ شكلها القانوني وتصبح ممثلة لجميع أصحاب الاعمال فى هذه الحرفة . . وهكذا لاتجد نقابة فى ايطاليا الا وهى فاشية فى نظامها وروحها ، وجميع العمال رضوا أو لم يرضوا — مادام قد رضى عشرة فى المائة منهم — يصبحون فاشيين . . . وهكذا وهكذا أصبحت إيطاليا رجالا ونساءاً ، أطفالا وكباراً ، عمالا وموظفين ، أصبح الجميع يدينون بالفاشية — استغفر الله — بل يدينون بألههم موسولينى إن لم يكن سراً فجهراً على الاقل وإلا ففى النفى والسجن والتشريد متسع للجميع . . .

وعلى هذا النظام محيت الفردية الاقتصادية من ايطاليا ، كما حد من استقلال صاحب العمل فى إدارة عمله حتى أصبح صاحب العمل لا يستطيع ان يزيد آلات معمله أو أن ينقصها كما يتراءى له شخصياً . وهو كذلك ليس حراً فى اختيار عماله ، بل عندما تدعوه الضرورة لاستخدام عمال جدد لا بد له من أن يتوجه بطلبه الى مكتب استخدام عمال النقابة ، وهذا المكتب يفرض عليه استخدام عمال من الذين ينتمون إلى الحزب الفاش

أو الى جماعات المحاربين القدماء ، وهذا النظام يتبع حتى فى أبسط الاعمال وأدنى الحرف والوظائف حتى بوابي المنازل ....

***

وقد قال موسوليني فى مقال له بمناسبة انقضاء عشر سنوات للزحف على روما ما يأتى « إن كانت هناك معجزة صدرت مني حقيقة فهى معجزة تشكيل الشعب الايطالى وجمع صفوفه فى كتلة متضامنة لها روح واحدة تعرف كيف تنظر الى الحاضر والمستقبل بثقة كبيرة فى مستقبلها . ففى عهدنا ــ أى عهد الفاشية ــ تعلم الايطاليون ان نظام الاضراب لا يمكن ان يثمر غير الجمود والفوضى ، بينما جنت البلاد بقيادة سلطة موحدة فى أرادة واحدة وإدارة واحدة ثمار تقدم لم يوجد حتى وقتئذ إلا فى المشاريع وفى الآمال »

وليس أصرح من هذه الاقوال فى ان موسوليني قضى بارادته علي نظام الاحزاب فى ايطاليا أى قضى على نظام الديموقراطية فى الحكم ، كما قضى على الحرية الشخصية ، وجميع الحريات من غير استثناء . وفرض على الشعب نفسه ديكتاتوراً مستبداً متصرفا من غير شورى أو مسئولية ، فهو لا يعرف من أساليب الحكم إلا ما كان منها قائما على البطش والقوة مبرراً هذا بقوله لأميل لدفيج « قد يكون الديكتاتور محبوبا من الشعب قريبا من قلوب أفراده لان الجمهور كالمرأة تعشق القوة »

فترى من ذلك أن موسوليني يستبد وهو عالم باستبداده ، يبطش وهو عالم ببطشه ، مبرراً هذا الاستبداد وهذا البطش بان الجمهور فى حاجة اليهما لانه كالمرأة يعشق القوة على حد قوله ، وهو يألف الاستبداد والعبودية حتى ليتعذر عليه أحيانا أن يشعر باهدار حريته

وتعزيزاً لقوته ، ودواما لسلطته ، رأى انه فى حاجة الى جيش خاص — غير جيش الحكومة الذى يدين بالولاء للملك وحده — فكون له جيشا هو الجنود الفاشية وذلك بعد ثلاث سنوات من الزحف على روما ، وكان يقصد بانشائها الى غرضين: الاول إيجاد هيئة دفاع ثابتة منظمة تشد أزر الفرق المسلحة المعروفة باسم « سكارديستى » والتى ساعدته فى الزحف على روما ثم الاستيلاء على الحكومة ، والتى فترت حميتها وبردت حماستها بعد

أن أدت الواجب المفروض عليها وشاهدت زعيمها يضطلع باعباء الحكم . ثانيا ضرورة إيجاد قوة مسلحة يستطيع النظام الفاشي الاعتماد عليها لتحقيق اصلاحاته الدستورية التي يرتئيها ، وتركيز حياته وفق النظريات الجديدة التي نادى بها

وبهذا الجيش المسلح أمكنه أن يخدم مبادئه، ويعزز مركزه، ويروج دعوته ،ويؤيد أمثلته العليا ، لا سيما والظرف السياسي وقتئذ كان يضطره الى بذل أقصى الجهود احتفاظا بالنتائج التي تمخضت عنها ثورة اكتوبر وهي استيلاؤه على زمام الحكم ، وسعيا وراء انتصارات أخرى في ميادين الاصلاح العام . وبذلك تعددت واجبات الجنود الفاشية وتنوعت فأنشئت فرق مستقلة خاصة داخل هيئة الجنود العامة ، وأنشئت جنود السكك الحديدية ، وجنود المواني ، واتبعت نفس النظام فيما يتعلق بمصلحة البريد والتلغراف وحراسة الغابات .... الخ . الخ

وفي عام ١٩٢٨ انشئت هيئة الجنود الجديدة للمحافظة على النظام في الشوارع ، وبهذه الطريقة انتشرت جيوش المتطوعين بين الشعب واندست في ثنايا الطبقات على اختلاف منازعها وميولها . وهذه الجيوش ما تنفك تتكاثر وتمتد ويتسع نفوذها وينبسط سلطانها ويعهد اليها بتأدية واجبات جديدة غير تلك التي أشرنا اليها . وأهم هذه الفرق هي التي من اختصاصها الدفاع عن البلاد ضد الغارات الجوية ، وأخرى لحراسة الحدود ، وثالثة مؤلفة من طلبة الجامعات لتوجيه الروح الجامعي في التعليم وجهة فاشية . ورابعة كلفت بالمحافظة على الأمن والنظام العام ، وخامسة لتدريب الشباب وتمرينهم على الحركات العسكرية . فأصبح هذا الجسم الضخم يضطلع باعباء عظيمة سواء في ميدان السياسة أم في ميدان الحياة العسكرية أم في شئون التعليم وعدد الجنود الفاشيين الآن يزيد على المليون بكثير ، مع ملاحظة أن الاستعداد العسكري للانخراط في سلك هذه الجندية كان أول الامر اختيارياً فأصبح اليوم اجباريا ، أي أن كل من يتطوع فيها يجبر على تعلم الفنون العسكرية . وبهذا ، وبهذا وحده ، أمكن لموسوليني أن يصبغ ايطاليا بالصبغة الفاشية ، وأمكنه المحافظة على سلطته وعلى مكانته ، وأمكنه القضاء على خصومه

ولكن يتساءل الكثيرون هل يمكن للفاشية أن تبقى وتحيى بعد موت زعيمها ومنشئها ؟ ذهب رأي الى الحياة وذهب آخر الى الموت ، ولكن دعنا نبسط لك رأي موسوليني

نفسه عند ما وجه له هذا السؤال أحد مراسلي الصحف الفرنسية قائلا له « ياصاحب الفخامة إنني لا أتوسم الخير مستقبلا لنظامكم على هذه الأسس » فأجاب موسوليني قائلا « أما أنا فأرى فيها الخير كله . إن فى ايطاليا حزبا فاشيا يعمل لبناء ايطاليا على أساس جديد وهذا الحزب فى حاجة الى الوقت لاتمام هذا البناء ولكنه سينجزه ، وكل ما يمكن أن يحدث هو موتي ، واذا مت فسيقوم من يخلفني ، هذا هو كل شيء . نعم انك ستقول لي أن الرجال تختلف ولا يمكن أن يوجد رجلان متشابهان ، وأراني أتفق معك على ذلك ، غير أني أقول ان هذا التشابه ليس ضروريا خصوصا وأن المسائل التى ستعرض فى المستقبل ليست هي المسائل التي عرضت فى الماضى أو شبيهة لها ، ولكى أصارحك بكل ما فى نفسى أقول لك أنه لن يكون هناك موسوليني ثان ولكن سيكون هناك فاشى يشغل مكانى ... واذا لم يكن هذا الفاشى متمتعا بكل الصفات التى يمكن أن أكون أنا متمتعا بها ولا فيه كل المزايا التي لي فسيكون له صفات أخرى »

هذا فى الواقع كلام حسن ومعقول أيضا اذا لم يكن موسوليني ، والطرق التى اتبعها هى طرقه وأساليبه ، فاننا رأينا أن هذا الرجل طبعت نفسه على المكافحة والاستبداد ، لايريد كلمة تعلو على كلمته ، ولا نجما يعلو على نجمه ، ولا يتمتع أحد أنصاره بحب يضارع حب الشعب له ، ولا يتمتع أحد أعوانه بتقدير يضارع تقدير الايطاليين له ، فانه ما كاد ينتهي من مكافحة أعدائه حتى بدأ فى اضطهاد أنصاره ... نعم أنصاره والمقربون اليه ما يكاد يشعر بأن الشعب يقدرهم ويحبهم حتي يعمل على إقصائهم عن مرافق الحياة ويخفيهم عن أعين الشعب ، والامثال على ذلك عديدة نأتي بمثلين فقط . أولهما أرلندو الذى مهد له طريق الزحف على روما ، وهو الذى قابل الملك وأحضر له منه الموافقة التلغرافية علي دخول روما والاستيلاء على الحكومة ، وهو الذى شاركه فى وزارته الاولى فبرزت مزاياه وتعلق به الشعب تعلقهم بموسوليني ، ولكن أني له أن يدوم هذا الحب وهذا التعلق فان موسوليني أقصاه عن الحكم بل أقصاه عن إيطاليا كلها وعلي ما أذكر عينه سفيرا له لدي بلاط إحدى الحكومات ... والمثل الثانى الماريشال بالبو الذى غزا الجو بسرب من الطيارات فاخترق المحيط الاطلنطي إلى الولايات المتحدة ، واستقبل وهو وزير طيران إيطاليا أعظم استقبال فى شيكاغو . وقد رأينا هذا الاستقبال على الشاشة البيضاء

فكان استقبالا ملوكيا حقا ، بل استقبال الفاتحين الغزاة . وما كاد يعود الي ايطاليا فى حتى استقبله الشعب الايطالي استقبالا لم تره ايطاليا من قبل ، كيف لا وهو الذى رفع رأس ايطاليا فى فن الطيران ، وكان لها أعظم دعاية وأكبر نصر ، وأصبحت الصحف والناس لا يتحدثون الا باسم الماريشال بالبو حتى ان اسم موسولينى تناسته الالسن ولم ترتفع بتحيته الحناجر ، وعند استقبال موسولينى له والباسه نيشان الاستحقاق طبع علي خده قبلة هي قبلة ... فما كاد يمر أسبوعان حتى أصدر موسولينى مرسوما بتعيين الماريشال بالبو حاكما عسكريا على مستعمرة طرابلس الغرب . ومن القدر الساخر أن يذكر موسوليني فى هذا المرسوم أن هذا التعيين مكافأة له على انتصاراته . . ولكن الواقع هو اقصاء له عن الشعب الايطالى حتى يتناسى حبه وتقديره له ، وحتى تخفت الاصوات بذكر اسم بالبو والعودة الى ذكر اسم موسولينى . . .

فمثل هذا الرجل الذى يحارب أنصاره كما يحارب خصومه ، لا يدع لهم فرصة لاظهار مواهبهم وابراز كفايتهم ، حتى يعرف الشعب كما يعرف الزعماء الكفء منهم وغير الكفؤ ، من يستحق الزعامة ومن لا يستحقها ، حتى اذا مات موسوليني تسلم الزعامة وزمام الحكم من هو أكفأهم وأجدرهم عن خبرة سابقة وتجربة من الشعب ومن الانصار

أما والحال كما هو متبع مع موسولينى الآن باقصاء أنصاره المحبوبين والممتازين وإبعادهم عن اختبار الشعب ، فما نظن الا أنه بعد وفاة موسولينى يتنازع أنصاره الزعامة والسلطة والشعب حائر بين هذا وذاك لانه لم يسبق له اختبار أحسنهم وأجدرهم بالزعامة ، وعندئذ تتوزع الزعامة ويتوزع الأنصار وينقسم الشعب كل مع فريق ، ومتي توزعت الزعامة وانقسم الشعب ذهب ريحه ، وصدق من قال إذا البيت انقسم على نفسه خرب ، وهكذا نتنبأ بزوال الفاشية عقب موت موسولينى

* * *

والآن وقد شرحنا الفاشية التى لا تخرج فى المعنى عن الديكتاتورية ، فهل هنا مايبرر وجودها وبقاءها ؟

ننا لا ننكر الخدمات الجليلة التى قامت بها يوم قضت على الشيوعية والفوضى فى إيطاليا ، ولكن معنى ذلك أنها تفرض نفسها على البلاد فرضا ، ويتولى حزبها زمام

الحكم بالطرق المشروعة وغير المشروعة ، ومن غير حساب لارادة الشعب الذى له وحده حق اختيار حكامه ؟

إن كان للديكتاتورية حسنة واحدة فلها عشرات المساوىء ، فأن أغضينا الطرف عن بعض الاصلاحات الداخلية التى تبرر بها وجودها وتذر بها الرماد فى عين خصومها، لانجدها غير حزب يؤيد الديكتاتورية ويناصره فى كل ما يفعل وكل ما يقول فى سبيل الاستئثار بالمناصب الكبيرة ، والمنافع العديدة التى يحصلون عليها من مرافق الدولة المختلفة

ومن مساوىء الديكتاتورية أنها تحمل معها الوشايات والدسائس والمحسوبية والخوف والحذر والملق والرياء . فكل من تزلف إلى أعضاء الحزب أمن علي نفسه شر الاضطهاد وكل من عرف كيف يتقرب إليهم استطاع أن يضمن لشخصه بعض المنافع التى يطمح اليها . وكل من أحس برغبة شديدة فى معارضتهم وكان جباناً يخشى سوء العاقبة يضطر فى النهاية الى السكوت وتحمل الامر الواقع والكف عن ابداء آرائه السياسية . فبدل أن تكون الحرية الشخصية هى مقياس الرجل المتحضر تصبح الطاعة العمياء دليل الاخلاص والجد والعمل والرقى ، وهكذا يطبع الشعب بطابع واحد وتتجه ميوله نحو غاية واحدة وتنصب حركاته وأفكاره فى المجرى الذى يريده له الدكتاتور وحزبه

فعبادة الديكتاتور فرض على الشعب ، وتقديس أفكاره وتعاليمه فرض على الشعب والايمان بسياسته فرض على الشعب ، ووضعه فى مصاف الآلهة فرض على الشعب ، وكل من يخالف هذا أو يجرؤ على المصارحة بنقيضه أو يتبرم به يصبح موضع الريبة والاضطهاد

وهكذا يقضى على الحرية الشخصية ، حرية الفرد ، وحرية الفكر ، وحرية القلم تلك الحريات التى من أجلها سالت دماء ، ومن أجلها جاهدت شعوب عدة أجيال . فهذه الفكرة التى تستند اليها الديمقراطية والتى تعتبر أكبر نصر احرزه النوع البشرى فى تاريخ تطوره ، وأعظم حافز للفرد على الرقى والتحضر والشعور بقيمة الشخصية الانسانية لا تحترم فى العهد الديكتاتورى ، ولا يحفل انصاره بها ، بل يعمدون الي تحطيمها وهدمها ويقولون أن الدولة هي كل شيء وأن عقلية الديكتاتور وحاشيته أبعد نظرا واصلح لادارة شئون الامة من عقليات الافراد مجتمعة فى برلمان تتوافر فيه العناصر الديموقراطية الصحيحة فكأن الديكتاتورية تعمل للقضاء علي شخصية الفرد لتحقيق آراء ومبادىء واصلاحات تخيل

للقائمين بهذه الديكتاتورية ولزعيمهم أنها المثل الاعلي وأن لامفر من تنفيذها بالقوة والعسف والاضطهاد اذا لزم الامر

ومن أضرار الديكتاتورية أنها تلقي في روع الفرد أنه لا شيء وأن الدولة هي كل شيء . ومعنى ذلك أن الفرد يشعر بدافع شديد يدفعه الى الاتكال على الحكومة وعلى عبقرية الديكتاتور، فتختفي فيه مواهب التفكير الحر وملكات الاعتماد على النفس في تصريف الامور . فكل عهد من عهود الديكتاتورية هو زمن ترجع فيه الانسانية القهقرى . ورسب فيه العقل البشرى ، وتتعطل المواهب الخالقة وتنتشر الدسائس وتفسد الاخلاق

فالديكتاتورية هي عرض زائل سرعان ما تنهدم ويتقوض بناؤها ، لانها قائمة على الضغط، وكل ضغط له عاقبة هي الانفجار ، وأقرب مثل على ذلك هو تقويض ديكتاتورية بريموري ريفييرا في أسبانيا التي اكتسحت العرش أمامها ، ولا تزال الى الآن تعاني نتيجة هذا الانفجار

فالديمقراطية أصلح نظام يمكن أن تعالج بها مشاكل العالم الحاضرة من اجتماعية وخلقية واقتصادية . لان الديمقراطية تمكن أفراد الشعب جميعا من الاشتراك في الحكم ولا تسمح لفرد واحد بأن يسيطر بمفرده على شئون دولته . وغرض الديمقراطية الأكبر أن تحل في الجمهور حكم العقل محل حكم العواطف والاهواء . وأن تشعر كل فرد بمسئوليته حيال مختلف شئون الامة . وهكذا يشعر الانسان بقيمته البشرية ويحس بما له من حقوق وعليه من واجبات . فليست العبرة في أن ننشد الحرية في معاملتنا بعضنا البعض ولكن العبرة في أن يتيح لنا نظام الحكم التمتع بأقصى الحرية السياسية في سبيل خدمة مجموع الامة والتوجه به نحو تحقيق النظام . ورحم الله فولتير اذ يقول : « ان غايتي في الحياة أن أكون حرا لا بالنسبة الى نفسي فقط ولا بالنسبة الى كل من أعرف ، ولكن بالنسبة الي الحكومة التي تعمل على تكويني وتكوين أبناء وطني واعدادنا جميعا للحياة ، وما دامت الحكومة هي التي تعني بالتصرف في شئون الحياة العامة فمن حقي أن أشرف عليها وأراقبها اذ في هذا الامر مصلحتي ومصلحة مواطني جميعا . » وفي الحق ان فولتير يعبر عن شعور كل فرد لا عن شعوره فقط

أسيوط

زكي حكيم

سكرتير جماعة الثقافة

احتجاج

قصة تامة بقلم يحيى

— ١ —

— « تمانين قرش ، تمانين قرش ، مالهم ؟ كويسين ! »

— « مش كان يا نينا متأجر بجنيه ؟ »

— « يا ابنى ماهو راخر فضل فاضى شهر وزيادة ماحدش هوب عليه »

— « نصبر شوية . . »

— « يا ابنى يا محمود ، احيينى النهارده ومتنى بكره . . »

ونفذت ارادة الست خيرية ـ كالعادة ـ ونزل محمود افندى ومزّق بنفسه من على درفة الباب « دكان للأيجار » التى كان قد كتبها على ورقة كراس ، ثم سلم المفتاح للأسطي حسن المنجد : شاب يلبس جلابية بيضاء فوقها « زاكتة » ووجهه أصفر وطربوشه معووج على ناحيـة . . وقف محمود يراقبه وهو يفتح الدكان . ثم نظر لساعته . الساعة السابعة . ونظر للباب . وصل لسمعه وقع أقدام تنزل من الدور القوقانى . هذا هو ميعاد خروج حلمى أفندي زوج أخته عطيّات . هو عادة أوّل من يبكر فى الخروج لأن دبوانه ـ مصلحة المساحة ـ بعيد عليه . خرج حلمى من الباب وهو يزرر صديريه ، له نظارة سميكة فى إطار ذهبي تبدو من وراءها عيناه فى أقلّ من حجم المليم . . هو كل يوم مسرع ولـكنه فى هذا الصباح تريّث لحظة ليسأل عن المستأجر الجديد ، ودخل الدكان وراء الأسطى حسن يقول :

— « لما تفضى يا معلم عندنا شغلة بسيطة »

— « من عينىّ »

وهرول حلمى والشمسية تهتز على ذراعه . يراقبه محمود وهو يضحك فى سرّه متعجباً ،

لا من رغبة حلمي فى استغلال الأسطى حسن مجانا ، بل من تسرعه وقلة صبره . كأن الأسطى حسن من مستأجرى أملاك حضرته . على الأقل يستذوق وينتظر . لعلّ أصحاب البيت فى حاجة قبله للاسطي حسن . نظرة أخرى للساعة . السابعة وربع . دق محمود الباب ونادى :

— « يافرج افندى ! »

هذا زوج أخته الثانية نعمات . كلاهما موظف فى وزارة الأشغال ويخرجان كل صباح سويّاً . نزل اليه شاب يلبس حذاء برقبة وصيديرياً أبيض اللون على بذلة غامقة ، له كرش ، هادىء الخطوة . بطىء الحركة . وسار الابن مع زوج البنت جنباً لجنب ، ولم يبق فى المنزل سوى الحريم وكبشة عيال ، أولاد وبنات ، لهم غاغة وزعيق . كلهم فى سن متقارب ولباس متشابه : اخوات وأولاد خالات وعمّات . فى هذا المنزل تتردد أغلب أنواع القرابة . هو منزل صغير لا شىء يميزه عن جيرانه ، لن يخطر ببال أحد ممن يمر عليه أنه بأزاء مثل رائع لتجدد الحياة وخطو السلالة . هو منزل منتج ، عياله كثيرة متلاحقة ، عند ما يغلق بابه وتقفل شبابيكه ويخلو بنفسه مع الليل يهبط عليه سر من أسرار الوجود . سر غريب . حسابه بمئات الألوف والملايين لا بالآحاد والعشرات . لا يقود حتى يبين بل يسوق ويظل مجهولا . لا يتريّث . لا يلتفت للوراء ولا تتقزز نفسه ، ورجلاه لا تطأ إلا على أشلاء . لن يستفيق لهذا السر إلا من عاشر النحل وأطلّ عليه فى إبان نشاطه وزحامه القاتل داخل الخلية . فى الصيف الماضى ولدت عطيات وفى الشتاء الذى قبله ولدت نعمات بنتين فى بطن . والآن يتردد فى المنزل فى بعض الأحيان صوت طراش فائقة زوجة محمود لانها حبلى . للحيوان موسم واحد للتوالد . تنتبه صغاره على الربيع وهو يوقظ الارض للانتعاش وأحد والعيد للجميع . ولكن الانسان يلد فى زمهرير الشتاء وفى حمارة القيظ وما بين الفصلين . قد يقال أنه أضاع معنى الربيع . ولكن لا بأس . انه هو وحده سيد الارض . والسيد لا يأبه لاهواء عبيده

الست خيرية فى هذا المنزل بمقام المليكة فى الخلية . ليس لانه لولا بطنها وحجرها لما قامت له قائمة . بل لانها روحه ومديرته . وعلى رأى جيرانها هى « عامود البيت » هى من أهالي القاهرة . تزوجت مبكرة من ناظر زراعة مطربش عرّفها سكنى الأرياف ومنازل

حقيرة متهدمة ومعيشة المزارع تزامل فيها الجاموسة أصحاب البيت. رأت معه فى حياته المتنقلة بلاداً عديدة للآن لم تنس أسماءها ولا ترتيبها لانها خلفت جزءاً من حشاشتها فى قرافة كل بلد. ابن فوق راس ابن. عاش من حرسه الله ومات من انتهي أجله. حتى السقط له اسم وذكرى. كم تعبت! ولكنها صبرت مع زوجها وحوشت له قرشاً على قرش وجنيها على جنيه الى أن اشترى من أحد الوارثين خمسة أفدنة ضعيفة فى عزبة خورشيد والمنزل الذى أقام فيه بالبغالة عندما عاد للقاهرة يشتغل كاتباً فى احدى الدوائر. ثم مات وعلى يديها أولاد صغار. ليست هى التى تتزوج من رجل يطمع فى حطامها ويشتت من حولها عيالها. رفرفت عليهم كالدجاجة. عند ما تحتضن تحت جناحيها كتاكيتها اذا هبط الظلام. ربتهم بأسنانها كما تجز القطة على رقبة أولادها وتنقلهم من الخوف للأمن. تربية ليس فيها دلع ولا عطف مضر. لا يزال بناتها يذكرن للآن كيف كانت تسرح لهن شعرهن. يد قوية تقبض على الضفيرة وتشد الرأس للوراء. لها «لكمية» ترن على الظهر اذا زنت البنت أو تململت. ويذكر محمود للآن قبضة هذه اليد ذاتها على قفاه يوم الحمام. قبضة تؤلم رقبته ولا ترتخي ولو صرخ من رغوة الصابون تغشى عينيه وهو يحميهما بقميصه القذر يخلعه ويبقيه فى يديه مبللا. تذهب للبلد وتلم الايجار بالمعروف والمتلوف وتأتى بزكائب القمح وتعجنه وتلدن العيش وتستعين بأيجار الدكان على مصروف الخضرى والجزار. لم يقل أحد انها بخيلة أو مقترة، بل بالعكس كثيراً ما يقال عنها انها سيدة أينما وضعت يدها حلت البركة. من أمثالها العديدة التى يتناقلها عنها معارفها «كب الطبيخ البايت ورمي اللقم قلة بركة». «ماترفص النعمة لترفصك» «القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود» معتقدات ليست وليدة المناقشة أو البحث الشخصى، بل جزء من ديانة الست خيرية تؤمن بها على انها نتاج حكمة الهية لا جواب عليها الا الانصياع التام. بفضل هذه المبادىء تمكنت من الاستمرار فى تعليم محمود الى البكالوريا ووظفته. وزوجت بنتيها من رجال من طبقتها أمال رأيهم السكنى مجاناً. ثم زوجت ابنها محمود ودفعت مهره من فائض مرتبه. الكل يسكن معها والكل تحت أمرها. ان تلكأ واحد منهم ساقته بمثل بارع. فهى اختصاصية بارعة فى التمثل. لها لكل مناسبة مثل. وهذا بعض ما يحببها الى جيرانها ويجعل حديثها شهياً ولكن لا أحد

يعلم متى وأين ولا كيف جمعت كل هذه الامثال وحفظتها ودائماً على لسانها

— ٢ —

الاسطى حسن « ما كدبش خبر » وطلع فى صبيحة يوم إلي الدور الفوقاني . تنحنح على السلم ، وقيل له انتظر . ثم أدخل غرفة صغيرة وسمع هرولة أقدام ثم أفرج عنه كل ساكنات المنزل تحجبن عنه إلا الست الكبيرة فانها خرجت اليه وعلى رأسها طرحتها البيضاء . مد لها يده فسلمت عليه بيدها تغطيها بطرف الطرحة ، فهي من مذهب أن الملامسة بين غير المحارم تنقض الوضوء . ووقف الاسطى حسن أمامها خافض النظرة (ولد مؤدب وطيب) ولكن هذا الاعتقاد لم يمنع الست خيرية من أن تنادى خادمتها بمبة وتهمس لها وترسلها وراءه لتقف على يده الى أن ينتهى من تصليح الشيزلونج . . فى الغرفة كتب وكراسى . ولكن بمبة جاءت بجانب الباب وجلست القرفصاء . لها كل حين وآخر كحة خافتة لا من مرض ، بل وقفات تهدىء تنفسها وتعيده الي نظامه . رأسها يتمايل وهى تنقله من الكف اليمين للكف اليسار . وفى كل مرة تعود نظرتها وتقع على الاسطى حسن . نظرة خالية من الفهم والاهتمام والشخصية . هى حركة بؤبؤ طبيعته التحرك . بمبة متعبة . والتعب هو المعول الوحيد الذى يستطيع أن يهدم — على حياتها — أقوى النظرات وأحرها وأكثرها جاذبية وأسحرها شخصية . بعض العيون تظل ناطقة والجسم يحتضر . وغيرها قد ترمد أو تختفى وراء نظارة سوداء ومع ذلك يحس بها وبأشعاعها . هذه العيون ذاتها لاتقوي على التعب . إذا لمسها غاض ماؤها وذبلت وضاعت ألف مرة فى اليوم تطلع بمبة السلالم وتنزلها بمبة — نعم — بمبة — أفندم — بمبة — حاضر بمبة — طيب — بمبة — تعالى — بمبة — قومي — اطلعي — روحى — شوفى.. طول عمرك خيبانة خيبانة . من الكبير والصغير . فلكل حق عليها . فى عينى بمبة فى جلستها بجانب الباب صراع واضح يكاد يتكلم . نظرة تتملص بجهد وشيئاً فشيئاً من قبضة قاسية . واستمر الصراع زمنا غير قصير . ثم استبانت النظرة قليلا قليلا ونطقت عينان صافيتان لون انسانيهما كالكهرمان

وكان الاسطي حسن قد زحزح الشيزلونج من جوار الجدار ورقد تحته وبدأ يشد

المسامير بكماشته . ثم خرج ، وتريث ، وهرش رأسه . والتفت لبمبة يقول :

— « يا ستي من فضلك واحسانك ناوليني بق ميه »

شرب الماء وتناولت الكوبة منه . ومع ذلك ظلت واقفة بجواره . تتملك انتباهها حركات الاسطى حسن وهو يقذف فى فمه بكبشة المسامير ثم يخرجها واحداً بعد واحد ويغرزها فى جانب الشيزلونج ويهوى عليها بالشاكوش : منظر مسلي : والاسطى حسن والمسامير حشو فمه يقول لها :

— « ما تستريحى يا ست بمبة »

فجلست بجواره . كانت قدا استراحت وانتظم تنفسها وتمتعت نظرتها بحريتها فعلقت بشعر الاسطى حسن وانحناء كتفيه والخاتم الذى فى خنصر يده اليمنى . ولاحظت اتساخ قبة جلابيته ونقصان زرار فى قميصه

سألته بصوت رفيع سريع كأنها تكلم طفلا عودته على التدليع :

— « مين بيغسلك هدومك ؟ »

— « واحدة من الجيران »

— « ساكن فين ؟ »

— « فى المغربلين »

— « مش بعيد عليك ؟ »

— « لا . على رأي الفلاحين فركة كعب »

ضحكت بمبة لاجابته . لم تفتح فمها فبرزت ذقنها قليلا . وضاقت عيناها فتجعد الجلد على طرفى حدقتيها . سأل الاسطى حسن نفسه : لماذا تضحك ؟ وتنقلت نظرته من شعرها الفاحم لحواجبها السوداء الغليظة تمتد قليلا على صدغيها . من أذانها الكبيرة الى ثدييها المتهدلين على بطنها ، تتحزم عليها بمباغ قديم .. على رأسها طرحة سوداء ابيضت ولها خروق . وجه ساذج نحيف محمر . جلد ترى خشونته . وأيد مقرطمة الاظافر . (باين عليها من أهل الله) لم تحد نظرتها عنه . وتحملت فحصه غير قلقة . تبتسم من نفسها لنفسها كأنها على وشك الضحك من جديد لو نطق بكلمة أخرى . فضحكة بمبة سهلة الاستثارة تخرج من حلقها غير مسموعة الصوت ولكنها تستمر برهة كنغمة الوتر فى نهاية

تذبذبه . لم تضحك مرة بصوت مسموع . لا يعلم أحد هل هي طبيعتها أم من تأثير تربيتها . وعت بمبة للدنيا فوجدت نفسها خادمة فى منزل دولت هانم أم الست خيرية لا تعرف لها أبا ولا أماً . عائلتها أسماء . أمها على قول دولت هانم كانت جارية بيضاء خدمت بمبة سيدتها الي أن ماتت فورثتها خيرية هانم فيما ورثت وأخذتها معها فى الارياف كانت عندئذ فتاة فى سن العاشرة . خفيفة الحركة ، سهلة القيادة . حضرت الست خيرية وهي تلد أولادها . هزت لهم المرجيحة . وغسلت هدومهم . وفسحتهم . وحمتهم . وحملتهم على يدها . وشقلتهم على أكتافها . ومر الوقت يجري . والشغل لا ينقطع واغمضت بمبة عينيها وفتحتهما فاذا الفتاة الصغيرة امرأة فى سن الثامنة والثلاثين . مقطوعة النفس لا تهمد من الصباح للمساء . التعب أمات تفكيرها وحرمها النمو الروحى . فهى جسم صحيح وروح أعلها الكساح . بمبة رغما منها لا تزال طفلة فى قلبها رهبة دائمة من الست خيرية . تضحك للتافه من الامور ضحكتها الخافتة التى تغمض لها عينيها . ثم تنسى تجري مع العيال على السلم وتضربهم ويضربونها وتطلع لهم لسانها وتأخذ من حلواهم وتقضم منها وتعيدها اليهم . حتى النقود لا تعرف حسابها . وتفهم المليم أكثر من القرش لا تقطع فى شراء من بائع سريح إلا اذا جاءت للست ويدها «متبتة» مطبقة على النقود وراجعت الحساب عليها . فاصلت مرة بائعا فاشطرت وأخذت منه خمس أقات بطاطة بأربعة قروش ، وكان يطلب منها فى الاقتين ثلاثة قروش تعريفه . يحبها الكل . وهي تسير فى ذيلهم . لو سألتها لاجابتك انها تحب الكل بدرجة واحدة . وهى صادقة . غير أنها تشغل نحو محمود بميل خاص . ترمقه دائما بنظرات مملوءة محبة خارجة من القلب . لو تأخر فى العشاء أبقت له خير ما فى الحلة من لحم . الانه هو الابن الذكر الوحيد ؟ أليس هو سيد البيت ؟ أم لأن البنات يلازمنها فى خدمة المنزل وينهرنها ويتسنن عليها ولا تسلم طول النهار من لدغات لسانهن وشتائمهن مهما فعلت . حتى لو قطعت نفسها عشر حتت ولكن الواقع أنها تحب محمود ولا تدرى لماذا تحبه حتى لو شتمها نفس الشتيمة وتجنى عليها نفس التجنى . لأنه فى غالب الامر يكون غاضبا أو مستعجلا فليست شتيمته صادرة من قلب أسود مملوء بالسخيمة يتلذذ من صب الاهانة البذيئة على رأسها كقلب أخواته البنات قد يكون السبب أيضا أن محمود يحب دائما أن يعاكسها ويضحك معها ويتدلع عليها

فى بعض الليالي يطلب منها أن تكبس رجليه . فتميل عليه . ويحدثها وهو يضحك عن رائحتها المنتنة أو قملها المتناثر وشعرها المتساقط فى الطبيخ . من كم سنة لم تستحم . . وهكذا وهكذا .. وربما زاد وهزر معها هزاراً مكشوفا . مرة تضحك لكلامه ومرة تهزه كأنه طفل تريد أن تؤدبه وتدلعه فى آن واحد . وهكذا يمضى النهار . اعتادت الشتائم فلا تؤثر عليها . لا يتجهم وجهها إلا إذا جابهها أحدهم بقوله : انها عبيطة بلهاء . تغتم لحظة ثم تنسى ويعود مرحها سريعا اذا احتاطها العيال . والغريب انها لا تغضب لهذه التهمة اذا جاءتها من الست خيرية . هي تلازمها من الصباح للمساء لا تفارقها . حتى فى النوم تجيء تحت رجليها وتجلس تفقر برأسها الى أن تأمرها الست فتطلع للسطوح على فرشتها . ليلة دخلة نعمات سهرت مع الست خيرية للصباح فى غرفة مجاورة وكانت هى أول من دخل على العروسة فى الصباح وغيرت لها ملابسها وغسلت لها غسيلها . وليلة دخلة عطيات وضعت الست خيرية رأسها فى رأس بمبة تغالب اللهفة النعاس فى عينيها . ولكن الست لم تصبر . فعطيات آخر العنقود . وقبل الفجر سمعت حركة خفيفة فى غرفة العرس فسعلت فخرجت لها ابنتها . وكانت بمبة هى التى تلقتها من على الباب وطبعت على فمها وخدها قبلات تنهال من شفاه مفرطحة تلصق باللحم . وكانت بمبة تود أن تسهر بجانب غرفة محمود ليلة دخلته . ولكن الست خيرية أرسلتها للسطوح تقول :ــ

— « دى أوعى منك ومني . تلعب بالبيضة والحجر »

ولما وصلت بمبة لفرشتها لم ترقد . هى متعبة . ولكن جسمها منتبه . جاءت لسور السطوح وارتكنت عليه فضغطت الركنة ثدييها على حافة الجدار . ونسيت بمبة الزمن ومروره وهي منحنية . نظرتها تائهة . ثم انتبهت فجأة مرتعبة وجسمها يرتعش . التفتت وراءها تقول :ــ

— « أعوذ بالله من كل شيطان »

وسارت مسرعة الى فرشها

— ٣ —

مع الزمن استحكمت الالفة بين الاسطى حسن وأصحاب البيت . مهنته هى التى فتحت له الباب وكشفت له داخلية المنزل ، وشخصيته هي التي كملت الباقى . اذا جلست العيال

على باب الدكان تشم الهوا فهم فى أمن . فى الصباح توصيه بمبة علي ما يحتاجونه من الخضار والفاكهة فيشتري لهم من الباعة السريحة خيرما لديهم بأسعار طيبة . وقد لا يكون لله طبق الطبيخ الذى ترسله له الست خيرية مع بمبة عند الظهر فى بعض الايام. طبق ملوخية غالباً تكون بايتة وبلا لحم — أو قطعة فطير مشلتت يوم وصول أحد أقارب أزواج البنات من البلد . واعتاد أصحاب البيت علي سماع خطوته وهو يدخل فى الحوش ليملأ القلة أو ليعمل (زى الناس) وانتهى الأمر بأنه يعرف أقاربهم وصناعاتهم وأسماء المستأجرين وبمصلحتهم والمتأخر لديهم بل ويعرف كل من يتردد على المنزل كالدلالة وابنتها والبلانة والداية ونظله الهابلة وساترة الشامية بائعة الصابون وبعض الجيران . عيبه الوحيد انه لا يدفع الايجار بأكمله يوم أول الشهر . فى هذا اليوم تطلبه الست خيرية فوق فيطلع ويقف أو يجلس على كرسى بجانب باب غرفتها وهى تكلمه من الداخل أو تخرج اليه وهى لابسة الطرحة البيضاء . ويدور بينهما حديث طويل ! وينتهى غالبا برضوخ الست خيرية لرجائه على أن يكون هذا الشهر آخر مرة . لا أحد أخذ باله من بمبة وهي واقفة عيناها عليه . نظرة تشمله من رأسه الى قدميه . كأنها أم تنظر لابنها الفالح يلبس ثوبا جديداً أمام المرآة فينسجم عليه . شفتا بمبة تنفرجان عن ابتسامة خفيفة . يدها الحمراء على خدها ورأسها مسند على درفة الباب . بين حين وآخر تسعل سعلتها المتعبة . رغم تنبيه سيدتها عليها تمد لسانها فى بعض الاحيان وتدافع عن الاوسطى حسن . ثم تنزل وراءه وتشيعه للباب . قلما تنزل بمبة الآن للحوش الا اذا نادت الاسطى حسن من شق الباب لسبب أو لغير سبب . للفارغ وللمليان . هى التى اقترحت عليه أن يعطيها ملابسه لتغسلها له . ولما كلم الاوسطى حسن الست خيرية فى هذا الامر عملت بمبة نفسها ولا هي هنا . كل خمسة عشر يوما تغسل له جلاليبه وفانلاته ولباساته . وأخذت بمبة على عرق الاسطى حسن تميزه أنفها من عرق أهل البيت . وفى اليوم التالى تناوله الغسيل مطبقا نظيفا فيأخذه ويقول لها :—

— « ياسلام ياست بمبة . قليل زيك فى الدنيا . من ايدين ما أعدمهاش أبداً ! »

فتبتسم له عن أسنانها الصفراء الغليظة . . . وتسليم الغسيل وتسلمه مناسبة لا تمر دون

أن يشتكى لها الاسطى حسن عن صعوبة معيشته وهو عازب غريب فى مصر - يسكن بمفرده فى منزل يشغى بجيران عيونهم تدق فيها الرصاصة - لاهو متهنى على اللقمة ولاهو مستريح فى نومه - وملابسه مبعثرة هنا وهناك فى البيت وفى الدكان - وكانت بمبة تنقل هذا الحديث كلمة بكلمة الى الست خيرية - فى يوم كان جوابها : —

— « أحسن له يجوّز - - ياريت يشوف له واحدة بنت حلال تصون له نعمته »

— ٤ —

وانخطفت بمبة أياما طوالا فى نوبة من الجرى وطلوع السلالم ونزولها - أفندم - من الانحناء والقرفصة - حاضر - من القيام والقعود - طيب - من فوق لتحت - نعم - خدى - هاتى - ودى - جيبي - ماتعرفيش الشمال من اليمين - اللي جاى من الجلبة اتعلم وانت لسه زى الهم على القلب - » ثم استفاقت فى يوم وهي وحدها بالمنزل - الكل خرجوا لزيارة وأشغال - وكانت تكنس السلالم ووصلت للحوش - ثم واربت الباب لترمي الكناسة والتفتت فرأت الاسطى حسن خارجا من الدكان وفي يده القلة - فتحت له الباب وكرت معه راجعة الى الحنفية - وقدمت يدها لتأخذ منه القلة :

— « أشطفها لك - - »

ولكنه تشبث بها : —

— « خلى عنك »

وتلامست أيديهما برهة - وانحنى الاسطى حسن ووضع القلة تحت الحنفية - وجه بمبة الهادى تتغير معالمه فى لحظة - تندلق عليه ضحكة ساذجة ويظهر في عينيها بريق خبث صبياني - مدت يدها المبلولة ناحية قفا الاسطى حسن ولمست بأصبعها جلده فصرخ الرجل وهم واقفا حركته الفجائية جعلت بمبة تقفز من مكانها والتصقت بالجدار كأنها طفل يلعب الاستغماية - لم يتمالك الاسطى حسن نفسه من الضحك - - شيء في وقفتها وضحكتها وحركتها الفجائية أفقدته أتزانه - واذا به على غير انتظار يملأ حفنته بالماء ويطسه فى وجه بمبة - - ففغرت فمها في صرخة عالية طويلة مستمرة تقرب من الصوات - كأنها تتوجع من ألم حاد أو مقبلة

على نوبة صرع - - شعر الاسطى حسن بشعر رأسه يقب - صرخة مخيفة خلع لها قلبه - وقف برهة ذاهلا - لم يخرجه من دهشته سوى صوت الماء يفيض من القلة ويكركر فى حلقها المملوء - قفل الاسطى حسن الحنفية وعاد لبمبة - وقف بجانبها برهة - ثم طبطب علي ظهرها ولمس رأسها وانحدرت ذراعه الى كتفها واستدارت حول رقبتها - تضاءلت بمبة وكادت تهبط أمامه على الارض - قال لها :

— « لما انتى مش حمل الهزار بتهزرى ليه ؟ »

كان جوابها : — « رش الميه عداوة »

— « لا أبداً هوا فيه أعز منك عندى .. دنتى ضفرك عندي بالدنيا ياست بمبة »

وأخذت بمبة تعيد لف الطرحة بيديها .. وعادت لذهنها كلمة سمعتها من قبل عشرة أيام . كانت نسيتها فى جريها وطلوعها ونزولها . فاذا هي الآن تملأ رأسها : —

— « ياريت يشوف له واحدة بنت حلال تصون له نعمته »

وطبطب عليها الاسطى حسن مرة أخرى واستسمحها وأخذ القلة وخرج

***

العشاء هو المناسبة الوحيدة التى تجتمع فيها العائلة كلها سويا . يجلس الجميع حول طبلية واحدة . بين كل كبيرين شيطان من الانس يساهم فى الغوغاء بزعيقه . فائقة وحدها تمتاز بكحلها وفستانها المكلف . وباقى الجالسين فى شعر منكوش وملابس منزلية . لفرج لباس طويل تظهر له أربطة من تحت ذيل الجلابية . وحامى يلبس طاقية تهبط الي حواجبه يأكلون بأصابعهم ويقطعون الخبز فى لقم كبيرة تعمل عملها فى صحن الطبيخ وبمبة واقفة تناولهم الماء والخبز وتذهب للمطبخ وتعود حاملة الاطباق

فى ذلك اليوم كان أول الطعام طبق ملوخية لم تكد اللقم تبدأ الغموس حتى فتحت الست خيرية سيرة زواج الاسطي حسن وأخبرتهم كيف طلب منها أن تتوسط له فى خطوبة بنت حلال من معارفها

محمود — «عشان ماهو سعا كن فى ملكنا ح يلقح جتته علينا . لا . لا . احنا ما نتداخلش فى حكايات زى دى . علي كل حال ده رأيى »

فائقة — « ماهو الصنف ده كده . لما يلاقي وش . . . »

خيرية — «مافيش أحسن من عمل الخير ماتعرفيش يابخت من وفق راسين فى الحلال»

عطيات — « ياترى يدفع مهر كام ؟ »

حامي — « ده شيء يغيظ . راجل يماطل فى دفع تمانين قرش كأنهم تمانين جنيه . وبعدين يقول عاوز اجوز . وتلاقيه يدفع المهر زى الحلاوة »

فرج — « عندنا ساعي فى الديوان له بنت حلوة »

نعمات — « شفتها ؟ »

فرج — « لا . لكن أبوها راجل طيب »

نعمات — « وايش دخل ده فى ده ياناس . يا أخى أجيب لك شوية عقل منين !؟ »

وأخذت بمبة طبق الملوخية ووضعت بدله طبق بدنجان مقلى عليه لبن زبادى

نعمات « احنا مالنا ومال الغرب . وح نروح بعيد ليـه ؟ عندنا زينب بنت الدلالة »

فائقة « أهو تلاقيه ناقضها من ساسها لرأسها وهي داخلة وخارجة قدامه »

خيرية « أنا برضه عاوزه أوريه العروسة قبل ماتقطع عرق وتسيح دم »

عطيات « هوا ماله ومال واحدة بنت بلد تلوعه وتتبغدد عليـه . دى زينب دى بتتكلم بالعين والحاجب وهي لسه ماطلعتش من البيضة . ما تكلموا له الشيخ حسن المستأجر الجديد . له بنت مش بطالة . حتى حافظة القرآن وتصلى »

حامي « حقيقى جواز المنجد أرخص جواز هو اللى ينجد الجهاز على ايده ويفرشه بمعرفته . يقف عليه رخيص خالص »

فرج « طب والحلل ؟ طب ده السرير لوحده بيتكلف مبالغ »

فائقة « ياسيدى ينامواع الارض . سرير نحاس أصفر وبلدكان وناموسية وكرسى سرير قطيفة والحيطان مهببة » ؟

بمبة تملأ الكوبة الوحيدة وتناولها ذات اليمين وذات اليسار . عندما يبطل الشرب تأخذ الفوطة وتنش بها الذباب عن الاطباق . لا تسمع الحديث الدائر كله . فهي تذهب

للمطبخ وتعود. على أن كحتها الخفيفة زادت فى تكرارها ولم يكن خروجها سهلا هيناً بل يسمع لانفصالها عن الحلق خرخشة

خيرية « أنا حطة عينى على فردوس خدامة الجيران - أهى بنت يتيمة - ومنكسرة - ولا تتعبوش - حلوة مش بطالة »

فائقة « بس لو تعجبه - قليل ماقال أنا عاوز بنت من عائلة غنية وعندها طين »

خيرية « لا ما يقولش كده - ده ولد طيب وأنا عارفه انه ح يقبل لما أكلمه أنا علشانها . »

وكانت الايدي تذهب وتجيء على طبق الاوز حتى هبط تله وانكشف قعر الطبق ودارت ملعقة نشطة فجمعت الحبات المتناثرة على حوافيه - - مدت بمبة يدها لتأخذ الطبق فصدمت الكوبة ودلقتها - التفت لها الجالسون ولم ينبسوا - - بمبة فى حالة لم يروها من قبل - وجهها الاحمر مصفر وشفتيها السفلي زرقاء ترتعش - تتكلم غير واعية لنفسها :

- « ياستى مافيش نصفه ؟ »

- « جرى إيه يابمبة ؟ »

- « ليه كده ؟ بعد تعبى عليه وشقاى فيه وصبرى »

وانقطع تنفسها ولم تستطع أن تتم جملتها - -

- « جرى إيه يابمبه ؟ »

- « أكلى - بسم الله الرحمن الرحيم - قولى »

- « يعنى إيه تاخدوا الجدع من ايدي ؟ »

هبطت على الجميع دهشة تملكتهم - خرست الالسنة كلها وشمل الطبلية سكون - دهشة مصحوبة بغياب الذهن - يخبرون فى نفوسهم تيارات مبهمة من احساس غير واضح هم كالراقد تحت السماء عندما يتململ للشمس وهى تذر قرنها فوق الافق . هو نائم ولكنه يشعر - وهو غارق فى غيبوبته - بالقوة والوهج المقتربين وعما قليل يشملانه - ولو كان فى تمام اليقظة لما جاوب احساسه مدركا عظمة الشروق تتجلى عليه . . فأغفاؤه هو الذي مكن المقدرة الحقيقية الكامنة فى كل قلب من أن تتخلص من

سيطرة العقل وقوانينه وخرافاته ومن عصاته الجاهلة القاسية ، وتنفصل حرة تهتز كأبرة البوصلة - كلما انكشف عنها الغطاء واتصلت بالكون وخالقه . . يستيقظ هذا النائم والنهار عال فيقوم يفرك عينيه ويتثاءب . ليس هو الذى اهتز لشعور الفجر وانما كان المهتز شخصاً غيره . . .

فى بعض الأحيان يشعر القلب وحده بأحساس ينحبس فيه فلا يشعر به صاحبه . لعله يشعر به ويتهرب منه . ولعله يخشاه فهو يكتمه مكانه . ولعل الذنب فى أعصاب بليدة لاتستسيغه ولا تنقله . فى قلب كل جالس حول الطبلية عين من الأسى والحزن ومضت مرة ثم نامت كأنها لم تستفق أبداً . فى مثل هذه الأحوال يفقد الزمن بعض قوته واندفاعه ويصعب قياسه أو ضبط الشعور بمروره . لايدرى أحد من الجالسين حول الطبلية كم دام هذا الاحساس الغريب . هو لم يدم الا أقل من لحظة هينة . انقضت وجرت وراءها ضجة وأجوبة من كل النواحى . اندفعت النسوة الشابات فى ضحكة عالية . ولحق بهن الرجال . وقام الجميع من على الأكل وهم يقهقهون

وقال حلمى : —

— « جرى إيه لعقلك يا بمبه ؟ »

وجلست بمبه بجانب الباب وهي تكح مرة إثر مرة . غير منتبهة للملاحظات تنهال عليها . مجنونة . بلهاء . عبيطة . لأول مرة لا ترد على سيدتها وهى تناديها . لما مرت عليها الست خيرية لمست رأسها تقول : —

— « ده العقل جوهرة ربنا مايحرمكيش منه . اتنى يا بنت اجننتى ؟ سلامة عقلك ! »

وخلت الغرفة وبمبه جالسة على الباب . لبثت مكانها برهة غير قصيرة وهى لاتتحرك . ثم قامت وانحنت على الطبلية تجمع اللقم لعشائها

ورفعت نظرها فوجدت أمامها محمود يضحك : —

« والنبى تقول لى يا بمبه . . صحيح لو اجوزتيه تعملى له إيه ليلة الدخلة . . أبقى

اشترى له حسن يوسف ولا" حق بودرة . ان كان على الكحل عندك هباب الحالة . . يوميها ابقى استحمى . بس أخاف عليك من الحمام . بيخسسك قوى . اكمن سمنتك أكثرها وساخة . . »

بدأ مخها يمتد شيئاً فشيئاً . واستعرض فى ابتسامة مكسوفة . وهدأ الغيظ فى عيونها وبان الرضا والرضوخ القديم

— « إخصى عليكى . . أنا مش أبدى من الاسطي حسن ؟ الجار مش أولى بالشفعة ؟ »

ضحكة كبيرة عريضة اندلقت على وجهها وشملته من الجبهة للذقن . من الأذن للأذن . وبدا فى صوتها نغمة التدليع التى لاتظهر إلا عند ماترد على معاكسات محمود :

— « يالا . يالا من هنا بلا قله حيا »

وجلست . وحشت فمها بلقمة كبيرة وبدأت تمضغ وتبلع . . .

يحيى



التهافت العصبي

التهافت العصبي من الأمراض الحديثة التي تشبه الازياء الحديثة . والواقع ان الزمن الحاضر بتكاليفه المبهظة يدعو الى كثرة تفشيه . فأن اباءنا كانت حاجاتهم قليلة فكانت لذلك تكاليفهم قليلة لا ترهقهم ومعنى هذا انهم كانوا يخافون ويقلقون أقل مما نخاف ونقلق

والتهافت العصبي أو هزيمة الأعصاب امام الحوادث المحيطة تختلف درجاته . فهذا طفل يبكي ويستيقظ بالليل وهو مضطرب مذعور . وهذا رجل يخشى الوقوف في الشرفة ويتوهم انها ستقع به . وهذا آخر لا يطيق الظلام او النوم في غرفة وحده . وقد يشتد التهافت العصبي حتى يلزم المريض فراشه ويتوهم انه عاجز عن النهوض

واعظم ما يؤدى الى التهافت العصبي ارهاق العمل والكد الدائم مع سوء الصحة الجسمية أو مع مواجهة عقبات ومصاعب . وقد لا يؤثر الارهاق اثرا سيئا اذا كانت الصحة حسنة . وكذلك يمكن المثابرة على الكد المضني مدة طويلة اذا لم تكن هناك مصاعب وشكوك عن المستقبل . انما يجب الالتفات في كل حالة من حالات التهافت العصبي الى ارهاق سابق والى سوء الصحة الحاضر . ولا بد عند المعالجة من الراحة أي الكف عن العمل حتى يزول أثر الارهاق وكذلك تجب معالجة الجسم من أي مرض أو عقابيل المرض . فان الانفلونزا قد تترك بالجسم ضعفا يؤدى — مع الارهاق — الى تهافت عصبي

ويجب الا نتوهم الارهاق في الكد المضني فقط . فان الهم أو الخوف من المستقبل ارهاق كبير يضني الذهن والاعصاب . وفي السنوات الاربع الاخيرة كثر التهافت العصبي لان الازمة أصبحت هما يثقل على القلب . فرب الاسرة يحسب الف حساب لمستقبل أولاده وكساد التجارة . والأم تشعر أن ذهنها يتمزق وهي تحاول أن تجعل القرش يؤدى ما كان يؤديه القرشان قبل أربع سنوات . والخوف من الافلاس عند التاجر ، والخوف من تأخر الزواج عند الام التي تحسب السنوات لبناتها ، والخوف من الجوع

عند الموظف الذى فقد وظيفته ، كل هذه الهموم الاقتصادية التى كثرت فى أيامنا قد افشت التهافت العصبى . وهذه الهموم الاقتصادية أشد فتكا بالاعصاب فى مصر منها فى اوربا . لان الحكومات هناك تفرض على نفسها واجبا هو اعانة العاطل حتى يمكن ان يقال انه ليس فى اوربا كلها فقير معدم يخشى عليه او على اولاده الموت من الجوع والحرمان . ومثل هذا الكلام لا يمكن ان يقال للاسف عن بلادنا

وعندنا نوع من التهافت العصبى تصاب به المرأة حين تكون زوجة ويقضى عليها بالعيش مع حماتها . وهذا كثير الحدوث فى مصر . فان الابن يتزوج ويبقى مع أمه . وتبقى السيطرة للحماة على الزوجة . فتنشب الغيرة فى قلبها فاذا تكررت الصدمات والهزائم حدث التهافت العصبى . وكثيراً ماتتمالح منه الزوجة الحديثة بحفلة الزار . وهى هناك تمثل لنفسها نوعا من السيطرة الصبيانية كأن تركب خروفا او تتبختر أمام من حولها

وكذلك يحدث التهافت العصبى — بل الهستريا احيانا — من الضرة . فان الزوجة التى تشعر أن زوجها يتحظى ضرتها دونها قد تستطيع أن تروض نفسها على الرضا مدة ثم لا تلبث أن تنفجر . وقد يكون انفجارها بأرتكاب جناية او بالهستريا — التى تحتاج الى الزار — او بتهافت عصبى يلزمها الفراش

واصل الداء فى التهافت العصبى هنا انه ارهاق مما يقوم فى النفس من الصراع الذى لاتستطيع الانتصار فيه او حله . كالرجل يخشى الافلاس ولايستطيع الكسب لكى يتوقاه فلا هو قادر على السكون الى الفقر ولا هو قادر على تحقيق الثروة . أو كالزوجة التى لاتطيق سلطان حماتها عليها وكذلك لاتستطيع تركها اوالانفصال منها . أوالزوجة التى ترى ضرتها منتصرة عليها فى حظوة الزوج ولكنها غير قادرة على السكون الى الهزيمة بل الصبى فى المدرسة قد يحدث له تهافت عصبى اذا عجز عن التبريز فى دروسه مع الحاح والديه عليه فى الاجتهاد . فهو فى صراع بين الرغبة فى ارضاء والديه والعجز عن التبريز . وكذلك المراهق تتهافت اعصابه لاحتداد الشهوة الجنسية مع رغبته فى قمها وعجزه عن ذلك

وفى كل هذه الحالات تجب ازالة الصراع او حله . فاذا لم يكن هذا ممكنا لاعتبارات اجتماعية فأنه يجب عندئذ الاعتماد على تجنب الارهاق من العمل والكد وزيادة القوى الصحية . فانه قلما يصاب انسان سليم الجسم هانىء بالراحه الجسدية بالتهافت العصبى مهما واجهه من المصاعب والمقبات

أصل الضحك

الضحك مألوف عند جميع الأنواع البشرية . وهو حركة تقلصية لبعض عضلات الجسم . اولها العضلات التى تقفل العينين الى النصف ، والتى تجذب جوانب الفم الى الخلف فينفتح وتظهر الأسنان . ويلى ذلك عضلات التنفس فتتحرك بحيث يكون التنفس سريعاً قصير المدى مصحوباً بصوت خاص منخفض أو مرتفع . ثم عضلات الاطراف التى تسبب حركات الرفع والخفض فى اليدين والقدمين ، وكذا بعض عضلات الجذع التى تسبب لىّ بعض أجزائه

ومع ان الضحك عمل غير ارادى ، فانه عند الشخص المتمرن على ضبط النفس ، خاضع لتصرفه الى حدّ كبير . فانه فى الظروف التى تجعل الميل الى الضحك قوياً ، يمكنه بحركة عضلية الامتناع عن الضحك أو الابتسام الخفيف

والضحك حركة أو مجموعة حركات تثار عادة بانفعالات السرور كما ان لانفعالات الحزن أو الغضب أو الخوف حركات خاصة تعبر عنها

ولكن هناك باعثاً آخر على الضحك ، هو مشاركة الآخرين فى ضحكهم . فالمرء يضحك عادة اذا وجد مع أخرين يضحكون . أو لمجرد رؤيته شخصاً أخر يضحك . فهو عندئذ يضحك ولو أنه لايعرف سبب الضحك . ففى هذه الحالة لايوجد أى انفعال نفسى يبعثه على الضحك . وهذا الباعث له أهمية خاصة فى بحثنا الراهن فهو يدلنا على أن الضحك انما هو ظاهرة اجتماعية . واننا فى كثير من الأحيان نمارس الضحك لمجرد مشاركة الآخرين فى وجدانهم السار دون ان نعرف ذلك الوجدان وبالتالى دون أن نتأثر به . ويؤيد ذلك انه يندر جداً أن يضحك الانسان وهو منفرد . والعوامل التى تدعونا الى القهقهة ونحن مع الغير ، قد لاتؤثر فينا ونحن منفردين . أو تجعلنا نبتسم على اكثر تقدير

ويرجع منشأ الضحك عند الانسان الى اسلافه الحيوانية القديمة وهو كما وضحنا تعبير للآخرين عن حالة سارة نحس بها ، ومظهره واضح الأثر ليسهل على الآخرين مشاهدته ومشاركة الآخرين فى سرورهم ، ولمزاولته عند الحيوان الذى يعيش جماعات

اهمية كبيرة اذ يجعل أفرادها تشترك فى شعور واحد وعمل واحد سار . ومن ذلك يمكننا ادراك الفائدة التى تعود على الفرد والنوع من توضيح اثر السرور بالضحك . واذاً فالفرد يضحك عند الحصول على غذاء وافر مثلا فيجتمع معه بنو نوعه ويستفيدون مثله وكذا اذا كان يقوم بحركات وألعاب تجلب له السرور فانه يضحك فيشترك معه الآخرون فتعود عليهم الفوائد التى تنشأ من القيام بهذه الحركات والالعاب وهكذا

ويجدر بنا ان نعلم ان الحيوان يزاول الضحك ان لم يكن بالصورة التى يزاولها الانسان فبصورة قريبة منها أو تقوم مقامها . فكثير من القردة يضحك مثلنا وبعضها يبتسم فتظهر اسنانه وقد يسمع لضحكاته صوت يشبه صوت ضحك الانسان ، وضحك الشمبنزى كضحك الأطفال ويمكن اضحاكها بدغدغتها تحت الأذرع . وليست القردة العليا هي التى تضحك فقط فان الكلاب تضحك كذلك ولكن ليس لضحكها صوت ولهذا لانشاهده بسهولة ويمكن اضحاك الضباع بصوت مسموع كضحك الأطفال وذلك بحدوث انفعالات سارة لها تثير املها فى الحصول على الغذاء الشهى . ولكن الحقيقة الغريبة ان هذه المواقف تتغير بمجرد الحصول على الأكل ولا يعقب التهامه أى ضحك وهذا يفسر لنا ما ذكرناه من فائدة الضحك للفرد والنوع

واذن فقول ارسطو الذى كتب على مسرح السراى الملكية بباريس وهو « الضحك خير من الدموع لأنه من مميزات الانسان » قول غير صحيح

* * *

عرفنا أنه للتعبير عن الانفعالات السارة فائدة للافراد والنوع ولكن لماذا نعبر عن هذه الانفعالات بهذه الصورة من الحركة والاصوات الخاصة التى نسميها ضحكا نجيب على هذا السؤال بمعرفة منشأ هذه الحركات والاصوات

إذن عملية كشف الاسنان بجذب اركان الفم الى الخلف فى اثناء الابتسام والتى يصحبها عند الكلاب نباح حاد قصير المدى ، وفى الانسان قد تصحبها قهقهة منخفضة أو عالية : هذه العملية يغلب أن منشأها يرجع الى حركة لعب واغتباط كان يقوم بها سلفنا الحيوانى بعضه لبعض فيعضهم عضا رقيقاً ويجذبهم بأسنانه ليلفتهم الى مرحه ليشاركوه فيه . وبالتدريج تطورت هذه العملية ففقدت ما تشمله من ذلك العض الحى وبدل الجذب

بالاسنان اصبح الحيوان يجذب زميله باطرافه الامامية (التى تطورت الى اليدين عند الانسان)

أما الصوت المصاحب لهذه الحركة فقد تخصص عن بقية اصوات الحيوان واصبح مميزا منها ، وكشف الاسنان ولو أنه يظهر عند الانسان غير لازم فى عملية الابتسام إلا إن بقاءه نافع كتمييز مشترك معروف للسرور . وعلى ذلك فمنشأ حركات الضحك عندنا حيواني وهى فى تطور مستمر وقد تتغير تغيراً محسوساً فى مستقبل العصور

وهناك حالات كثيرة غريبة مسببة للضحك ومع ذلك فيمكن تعليلها تعليلا يتفق مع طبيعة وأصل الضحك كما شرحناه من حيث انه مظهر لانفعال سار ولمشاركة الآخرين فيه ولو أن ذلك قد يكون من الصعب فى بعض الحالات

ومن أهم الحالات حالة الضحك الذي يعقب النجاة من الخطر فمثلا بعد حادث اصطدام هائل أو زلزال خطير يندفع من كانت حياته فى خطر فى تيار مستمر من الضحك ، وتعليل ذلك هو ان الاتزان العصبى لهذا الشخص قد اختل بسبب الصدمة والانفعال السار بسبب النجاة وهو انفعال خفى يظهر أثره فى اثناء هذا الاختلال العصبى بشكل ضحك لاشعورى وتسمي حالات الضحك التى من هذا النوع « بضحك الهروب من الموت »

ومن أمثلته أن أحد عمال المناجم الفرنسية اختفى فى منجم ولم يتمكن الخروج مدة عشرين يوما فبقي فيه بلا طعام أو ضوء على عمق الف قدم فى باطن الأرض فلما نجا بعد ذلك واخرج الى الهواء الطلق انفجر ضاحكا بانفعال عنيف يوصف بالضحك المميت

وقدماء اليوناز والرومان فى بعض احتفالات الأعياد كانوا يجعلون الكاهن أو الممثل الذى يقوم بتمثيل دور عودة الحياة الى الطبيعة الميتة يضحك كثيراً

نظمى شواتى



الدرامة الروسية

إذا كانت مهمة الادب هى وصف الحياة وصفاً يدفع الى التسامي بها إلى مثل عليا ، فالدرامة أجدىُ فروع الأدب انتاجا لأنها أوثقها اتصالا بالجمهورْ . والدرامة الروسية ، كجميع فروع الأدب الروسى ، لها مركزها المتميز بين النتاج المسرحى فى الآداب الأخرى رغم أننا لانجد كاتبا مسرحيا يستأهل أن يوضع اسمه إلى جانب هـذه الاسماء الرائعة للقصصيين الروسيين : ترجنيف وتولستوى ودستوفسكى

لم ينشأ المسرح الروسى نتيجة لتطور وتشعب فروع الحياة الأدبية ، بل فوجىء الادب الروسى ، كما فوجىء الأدب العربي بالدرامة والقصة فى ظرف طارىء لم يقدم له بأى تمهيد . فكما بنيت الأوبرا المصرية ، وكما الف الكاتب الايطالى فردى قصة عائدة لا لأمر إلا احتفاء بمن دعاهم اسماعيل باشا إلى حفلة افتتاح قناة السويس ، كذلك بنى أول مسرح روسى وكتب القس الألمانى جريجورى أول مسرحية روسية ابتهاجاً بميلاد بنت القيصر أليكس سنة ١٦٧٢ . ثم ترجمت طائفة من المسرحيات الألمانية حتى كتب سيمون بولوتسكى المسرحية الروسية الأولى « الابن المبذر » وظل الأدب المسرحي الروسى عهداً طويلا يعتمد علي الآداب الاجنبية ينقل منها ويقلدها . فنري جريبويدوف (١٧٩٥ — ١٨٢٩) قد تأثر بالأدب الفرنسى والأدب الانجليزي تأثرا واضحا فى الكوميدية الشهيرة « Gore ot uma » التي تعد حتى اليوم ابرع كوميدية فى الأدب الروسى كله . ومن السهل مقارنة هذه القصة بقصتين احداهما فرنسية هى « Figaro » لبو مارشيه والأخرى انجليزية هي مدرسة الوشاية School for Scandal لشريدان . والقصة تصوير دقيق شامل للطبقة العالية فى موسكو ، وعرض لدقائق الحالة الاجتماعية فى روسيا ، فى نقد مر وسخرية لاذعة وفى شعر جزل جميل

ثم كتب الشاعر الكبير پوشكين (١٧٩٩ — ١٨٣٧) قصة بوريس جودونوف « Boris Godunov » فى شعر مرسل متأثراً ومقلداً شكسبير فى قصصه التاريخية . وموضوعها يدور حول « ديمتريوس الزائف » الذى هاجم موسكو ونشر سلطانه عليها قبل ظهور

بطرس الأكبر . وقد استمد موضوعها من تاريخ مفصل للكاتب الروسى كارامزين . وهي أقرب إلي أن تكون درامة لأنها سلسلة من المناظر لاتقوم على فكرة واحدة ولا تنتهى الى غاية معينة . ثم حاول الشاعر ليرمنتوف (١٨١٤ — ١٨٤١) أن ينشىء قصصا مسرحية متأثراً بالشاعر الألماني شيلر ولكنه لم يوفق

أخذ المسرح الروسى يقتصر فى غذائه على ما يترجم من القصص المسرحية البسيطة وكان أكبر ما يعوق التأليف المسرحى قسوة الحكومة فى منع تمثيل أي درامة فيها أبسط معارضة لآرائها ورغباتها . ومع ذلك فقد أجيز بأمر القيصر تمثيل قصة المفتش العام لجوجول (١٨٠٩— ١٨٥٢) التى تعد الكوميدية الروسية الثانية . فى هذه القصة يسخر جوجول ويفضح مساوىء الحكومة المطلقة والمجتمع المزيف . فقد أشيع فى إحدى المدن أن المفتش العام سيجيء اليها ليرى أعمال الموظفين ، فينتهز أحدهم الفرصة ويتنكر فى صورة مفتش ويذهب الى دواوين الموظفين حيث ينقلب كل شىء من لعب وخمول وإهمال الي جد ونشاط واهتمام ، وحيث ترى ما بين الموظفين ورؤسائهم من غطرسة وكبرياء ومن ملق ونفاق . وما زالت هذه القصة تجتذب اليها المتفرجين فى لينجراد وموسكو مقدرين معجبين

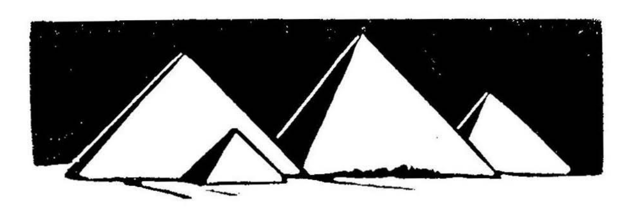
ولترجنيف (١٨١٨ — ١٨٨٣) مسرحيات طفيفة لاتقارن بقصصه الرائعة . ومن كتاب المسرح الروسى كاتب مغمور هو الكسندر سيخوفوكوبلين (١٨١٧—١٩٠٣) وأحسن ما كتبه « زواج كرتشنسكى » وتمتاز دراماته بمتانة التأليف والسخرية اللاذعة . ومن أقوي المسرحيات الروسية قصة تولستوى (١٨٢٨ — ١٩١٠) قوى الظلام . وقد وصفت بأنها درامة الفلاح المخيفة . وانشأ الشاعر أليكسس تولستوى (١٨١٧— ١٨٧٥) مسرحيات تاريخية حول قصة القيصر ايفان الرابع المعروف فى التاريخ باسم ايفان المرعب والذى تعد أيامه من أروع العهود فى تاريخ روسيا ، واشهر قصصه هى « موت ايفان المرعب » ، « القيصر فيدور ايفانتش » ، « القيصر بوريس »

على هذا بقى الادب المسرحى الروسى فقيراً ضئيلا حتى ظهر الكسندر اوستروفسكى (١٨٢٣ — ١٨٨٦) وهو أوفر كتاب المسرح الروسى انتاجا ، وأبرعهم فى وصف الحياة الشعبية القومية ، وأقدرهم على تمثيل الروح الروسية الصميمة التى لم تتأثر بأى عامل من

العوامل الأجنبية . كان أبوه يشتغل عند أحد التجار فى موسكو فنشأ الصبى فى الحى التجارى فى هذه المدينة وهو وسط روسى خالص لا أثر فيه لأى مظهر دخيل . وقصصه تدور حول هذه البيئة فهو يتكلم عن حياة التجار ويصف معاملاتهم ومافيها من غش وكذب وتزوير . ويستطرد فى قصصه إلي الطبقات الاخرى فيصف أحوال الموظفين والفلاحين والخدم ، ويذكر الخرافات والأوهام الشائعة ، ويتكلم عن جهل الآباء والأمهات وسوء تربيتهم للاطفال . فهو أديب الفوكلور الروسى ومسرحياته المشتقة من صميم روسيا هي : المفلس ، العروس الفقيرة ، اعرف مكانك ، ليس الفقر جريمة . وأجود دراماته « هزيم العاصفة » وفيها يصف حياة أسرة أحد تجار المدن ، و « الغابة » وفيها يصور أخلاق أعيان الريف ويستعرض طائفة من أفراد الطبقات الرفيعة والدنيئة

وتمتاز دراماته ، بما يمتاز به الادب الروسى كله ، وهو السهولة فليس فيها هذا التكلف فى تكوين الحوادث المثيرة الرائعة ، وخلق المواقف الحرجة المعقدة ، وتصوير الشخصيات الغريبة الشاذة . وانما هي وصف عادى طبيعى لحوادث الحياة اليومية وللأفراد الذين نلقاهم كل يوم . ولعل هذا هو نقطة الضعف فى درامات اوستروفسكى ، فهو يلاحظ ويصف أكثر مما يفكر ويحلل . وقصصه لذلك لا تسمو الي مكانة الادب العالمى لما ينقصها من الشمول والأحاطة بدقائق النفس الانسانية . ولكنها علي هذا من أبدع ما أنتج الأدب القومي الروسى وما زالت حتى اليوم تمثل على مسارح روسيا

عبد الحميد عبد الغنى



قصة مصرية

الحياة تدور ...

كان عطية فرداً من ذلك الجيش الهائل الغامض المتنقل الذى يوجد دائماً فى أظلم وأبرد أعماق المدن الكبيرة التى تحرص على جمع النقائص كافة فى قلبها الشامل المتسع. حياتهم ليل طويل مظلم ووجودهم نضال قاس مجهد فى سبيل الحياة. ولكن الحياة تسير غير عابئة .. آلية .. منتظمة .. تبتسم لمن تشاء وتعبس لمن تشاء .. ولكنها دائماً تزحف دون اهتمام الى نهاية غامضة شاحبة .. وتدور .. وتدور .. وتدور ..

الجوع بأنواعه أقسى عدو. الجوع الى الطعام. الجوع الى المال .. الى الراحة .. الى العاطفة. الجوع. دائماً الجوع .. غير أن الاول كان أشدها تأثيراً وبطشاً وعبثاً. كان يرهقه .. لانه لا يصمت عن الاحتجاج. واحتجاجه ألم حاد مقلق لا احتماله حد. ولا يمكن تخطى ذلك الحد

أما أنواع الجوع الاخرى فقد رسبت فى أعماقه واكتفت بأن ترسل بين وقت وآخر حنيناً مجهولا نابضاً .. وصدى حاراً مشتعلا. ولا سيما الاخير منها. لم يعرف أباً ولا أما فلم يعرف حماية ولا حناناً أو محبة. كان تائهاً فى المدينة العظيمة لا يستقر فى جوفها فكان يخاف أن تلفظه أو تقضى عليه فجأة. كان يحس ذلك أحياناً وكان يرهب ذلك الاحساس الغامض

وكان ينبغى أن يقنع « بالحاصل » الرطب المظلم المنخفض الذى كان يشترك فيه وسبعة من أمثاله .. والحصير البالى المتفكك « واللحاف » الذى تلاشت ألوانه فما يستطيع تمييزها .. وانتشرت عليه بقع باهتة فأصبح لزج الملمس كريه الرائحة بارداً قاسياً كالجلد، يبرز القطن الاسمر من نواح متفرقة من باطنه كأنها جراح مميتة برزت منها احشاء الداخل المدرية

ولكنه لم يكن قانعاً بل كان عاجزاً. كل ما يحصل عليه — وهو قليل — كان يحاول أن يدفع به غائلة الجوع. الخبز أولا .. الخبز البارد الجاف المتخلف لانه أرخص ..

ثم الطعمية أو الفول أو البصل أو الملح . . . وأحياناً لا هذا ولا ذاك حين يكون عاطلا فلا يجد غير الخبز والملح . وأحياناً يقفز أكلة أو اثنتين . . فيحاول النوم ليتخطى جانباً من الوقت . ولكن الجوع لا يخبو . بل يبدأ ألماً ضعيفاً ثم يزداد ويعبث بأمعائه وينتشر الى حلقه وفمه وعينيه ورأسه . . ويزداد يقظة وحياة وقوة . كأنما يصبح وينبهه فيخرج الى الطرقات يبحث عن عمل أو يقترض أو يسير فى خطي بطيئة متكاسلة . . ويجد أحيانا لقمة جافة بجوار حائط أو على قارعة طريق فيمسح ما عليها من تراب وأوساخ ويبتلعها ويبحث عن غيرها . . .

كانت الحياة شاقة وبالرغم من ازدحامها قاحلة . .

كان عطية قصير القامة نحيفها منحدر الأكتاف ضيقها ضامر البطن ينحنى جسمه قليلا الى الامام وتبرز ألواح ظهره كأنما تؤكد وجودها . له يدا عجوز مجعدتان جافتان مشققتان ، مصفر الوجه ، لجلده ذلك اللون الاصفر المائل الى الخضرة . . يصيبه أحيانا مرض خبيث لايعرف ماهو يأتيه فى فترات متقطعة فيحس انه يسير على الحد الفاصل بين الحياة والموت . ولعله كان يفضل الاخير فمعناه على الاقل نهاية النضال والبؤس ولكنه كان دائماً يرتد إلى الحياة المجهدة الصاخبة التى كانت تتلقفه بترحيب عنيد حزين صامت . وكان يخيل لمن يراه أنه ينقص شيئاً ولكنه احساس يفتقر إلى تعليل . . وقد يعزى إلى تلك النظرة الجائعة . أجل كانت عيناه كالمصباح الخابي ليس لديها الوقود الكافى لتشتعل وتلمع وتضيء . . فإذا مستهما لمعة فلعله أكل أكلة مليئة مشبعة . . ولكن ذلك كان نادراً بعيداً . . مرة خيالية كالحلم فى عرس أحد المعلمين . . ومرات معتدلات متفرقات فى مواسم القرافة . .

وتنقل فى عدة أعمال لكنه لم يجد بينها العمل الملائم لطبيعته — حمالا وبائع يانصيب وفاعلا — ولكن ضعفه الجسمانى كان يهزمه وخاصة فى العمل الأول والأخير . . أما الثانى فقد ثبت أنه لايصلح له . كان العمل يحتاج الى لباقة ونشاط وبديهة حاضرة وقوة على المثابرة . ولكنه كان سريع التعب شديد الحساسية إذا أخفق أو صدم تملكه ملل شديد حتى لا يجد القوة على المتابعة ولو كان فيها تصرف وربح . أجل كان ذلك نوع من التعب الروحي يخدر جسمه . أما عمله كفاعل فقد كان يمقته وخاصة بعد أن لحقته الازمة

تجردت بعض المقاولين من قلوبهم - كان يعمل من البكور إلى الغروب وغالباً إلى الغسق لايسمح له فى أثناءها إلا بساعة وأحياناً بعض الساعة للغداء - - كل ذلك نظير أربعة قروش فى اليوم وليته كان يستلمها كلها أو يجد عملا كل يوم - - يأخذ اليوم قرشاً وغداً اثنين - - وبعد غد لا شىء . أجل لا شىء إلى وقت الحساب - وفى يوم الحساب يجد بعض أنصاف أيام مطروحة - - فيتذكر مندوبي المقاول الغلاظ القلوب الثقال الايدى الذين يترصدون للعمال حتى إذا تلكأ أحد المساكين أو وقف برهة يستريح ويستعيد أنفاسه انهال عليه بلطمة أو بضربة من عصاه كأنما هو حيوان لا يكل - - فأذا تكرر ذلك قطع منه نصف يوم أو أوقف عن العمل - - مع أن العمل كان شاقا مجهداً يترك عضلاته فى آخر الليل موجعة مشدودة وأطرافه ثقيلة كالرصاص - كان العمل يخدره وينزع منه أى احساس سوى التعب ويدفعه إلى وكره المظلم ليلقى بنفسه فوق فراشه الخاوى البارد ويلجأ إلى رحمة النوم من جهد اليقظة - -

وكان فى طريقه الي عمله يمر على مدرسة أميرية للبنات فى الشارع القريب ويرى «عم محمد» جاره العجوز يبيع الادوات الكتابية . وكان يحسده علي عمله المريح . يجلس طيلة النهار فى الشمس الدافئة وفى يده منشة القش يذب بها الذباب ويبيع للفتيات مايحتجنه فى الصباح وفى الأصيل . .

ولما مات عم محمد رأى عطية أن الفرصة قد حانت ليشغل محله . وكان له عند المقاول نحو عشرين قرشاً أخذ يسعى بمجهود لم يسبق له القيام بمثله ليأخذها جملة . وبعد محاولات ومماطلات والحاح متواصل تمكن من أخذها على ثلاث دفعات . وكان حريصاً على حفظها كاملة كما أخذها لينفذ مشروعه ، ذلك المشروع الذى كان يعتقد اعتقاداً غريباً غامضاً سيغير من نظام حياته . .

وأخيراً وجد عطية نفسه يحمل صندوقا فيه بضاعته ووجد نفسه يجلس تلك الجلسة الهادئة التى كان يحن اليها فى الشمس الدافئة ساكناً كسولا على مقربة من المدرسة

وكان بالرغم من ضعفه شابا يشعر أحياناً بنداءات الشباب واصدائها فى دمائه حارة متدفقة داعية ملتهبة مرتعشة منتبهة . تحمل اليه أحياناً نشوة مجهدة . . وكان يسره أن يعمل بين الجنس اللطيف الرقيق وأن يمتع عينيه ويقدم بعض المادة لخياله الراكد

***

وذات يوم وقفت أمامه احدي الفتيات . لم يرها وهي تتقدم وانما انتبه علي صوتها الناعم الموسيقى . والتفت فاذا به ينظر الى عالم مجهول من الجمال الرائع المضيء . عينين واسعتين لونهما مزيج من الخضرة الشاحبة والزرقة الصافية كالاحجار الكريمة ولكنها حية تزخر بالحياة والشهاب يتجمع صفاؤهما ويتلألأ ويشف الى عمق ليس له قرار . . وينعكس منهما صدى من السحر الخاطف اللين . ووقف لحظة مبهوتاً ذاهلا وأحس فى أعماقه بشيء يصحو ويسعى ويهزه هزاً رفيقاً مستمراً وكأنما استيقظ وأفاق من سبات عميق واتسعت عيناه وقفز فى داخله لهيب غامض مشتعل .. وشعر بالحياة الحارة تدب فى دمائه الراكدة .. وانحدرت نظرته الى وجه ممتلىء مشرق وخدين تطل منهما ورود الربيع وفم دقيق رقيق قان ، ترددت النظرة عليه لحظة من الدهشة والاعجاب المطلق . . لا شك أن أصله نقطة أبدية من الدم تجمعت وانتشرت وتكونت على أحلى ما تكون استدارة الشفاه . . ثم هبطت نظرته الي صدر رشيق ناضج يزينه نهدان أنيقان بارزان متفتحان . .

ثم ارتدت نظرته على صوتها الى صندوقه وناولها غير ماطلبت . . وضحكت لارتباكه ضحكة خفيفة صافية الرنين . . وناولها ما تطلب وناولته النقود وارتعش حين لمست أصابعها يده . كان شعوراً حلواً ممتلئاً ، وظل طول يومه حالماً يجرب احساسات جديدة غريبة حلوة مقلقة حتى خروج الطالبات . وصوب نظره على الباب الخارجى وقلبه يدق وينتفض حتى رآها خارجة وملأ عينيه من جمالها المشرق وشبابها الغض وأخذ يتبعها ببصره وهي تسير فى رشاقة تعبر عنها كل أجزاء جسمها اللين الشاب الرقيق .. حتى اختفت فى منحنى الطريق

ونسى البيع فأهمله ذلك الاصيل ورجع الي غرفته يحمل شيئاً جديداً . مزيجاً من الفضول والقلق والرغبة والحنين وتلك الحرارة الغامضة وشيئاً آخر فى أعماقه يصيح ويدعو . . ويتململ ويصطدم

وانحصر اهتمامه فى الدنيا فى هذه الفتاة التى كان يعد حسنها شيئاً مقدساً عالياً ينتمى إلي عالم آخر وكانت أشهى اللحظات لديه هي تلك التي يرقب فيها مجيئها وانصرافها . وكان

نعيمه تلك المرات القليلة التى كانت تشترى منه أدوات كتابية . وكان أحياناً يحفظ ذلك القرش فلا يصرفه إلا إذا دفعته الحاجة القصوى .. بعد مقاومة

وكانت رقيقة لطيفة تبتسم فى وجهه أحياناً حين يسرع بفتح الباب لها إذا تأخرت قليلا . وبدأ عطية يشعر بشىء من السعادة لم يكن يعرفها . وكان يعد ابتساماتها منحة منها كانت تصل الى قلبه فتترك فيه أبلغ الأثر ..

وذات صباح وهو يرقب ذلك المنعطف فى انتباهة الكلاب المتيقظة لكى يراها منذ اللحظة الاولى التى يلوح فيها حذاؤها الانيق وطرف ثوبها الازرق اللامع . ثم وجهها المشرق .. ويسكن عن كل حركة ويجمد كالتمثال وكأنما تتجمع كل حياته فى عينيه . فتبرق وتلمع وتعبر عن كل حواسه ذلك التعبير الصامت المشتعل — لمحها ولمح فى لحظة وجهها غاضباً .. ثم أدرك السبب .. رأى شابا يتبعها ويبتسم ويمد يده يتجرأ عليها ويلمس ذراعها . وكالكلاب الأمين، نظر عطية الى وجهها فرأى حمرة الخجل والغضب تنتشر فيه ورأى ارتباكها الشديد وخوفها وأحس شيئاً ينفجر فى داخله ويسرى بسرعة البرق فى جسده ويندفع حاراً كالحديد الساخن الى رأسه .. واندفع فجأة دون وعى وأمسك بتلابيب الشاب بقبضة من حديد . وأحس فى جسده الضعيف بقوة وشجاعة لم يعرفهما من قبل وأخذ يهز الشاب بيديه ويؤنب ويشتم ويهدد ثم تركه أخيراً ورجع وفى عروقه دماء حية وفى عينيه لمعة وفى صدره احساسات . وجلس مرفوع الرأس فى نشوة هذا الاحساس الجديد . أحس بأنه رجل . يعيش ويتنفس . وأحس بنشوة الرجولة الفخورة فى حمايتها للأنثى . وأى أنثى ! لقد فعل شيئاً فى سبيلها . رمز الانوثة الخالدة . وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟

وجلس طيلة النهار منتصباً حياً يشعر بالمنبه الجديد فى دمه . وحين خرجت آخر اليوم تقدمت نحوه وشكرته . أجل شكرته بصوتها العذب الذى يتنفس عن رقة الناى . وبابتسامة منعشة بهيجة كالأمل . ورأى الجمال الناعم المضىء فى عينيها يبتسم له ويعبر عن شكره . أجل لأجله . وكاد يصيح ويرقص من فرط الطرب

وصحبها والدها فى الصباح التالي وحادثه وشكره ونفحه بعشرة قروش قبلها بعد الحاح

وتكون عقب الحادث نوع من التفاهم الانسانى الصامت المحترم بين هذا التائه الخشن والفتاة الرقيقة الجميلة دفعه الاعتراف بالجميل من نفسية حساسة . وربما أيضاً تلك الجاذبية البريئة بين عناصر الفضيلة التى غرست ونمت فى نفسها والتى اختبأت ونامت فى أعماقه رغم ما يصف به طبقته من لم تقس عليهم الحياة بأنهم أنصاف حيوانات . ولكن الزهرة قد تنمو فى الارض الوعرة الملتوية أينع مما تنمو فى الاصص الصينية المدللة . كانت كل صباح تومىء له وتبتسم ابتسامة صغيرة منعشة . وكان يحمد لها هذا العطف وهذه الرحمة التى لم يعرفها من قبل . وأصبح ذلك يفعل فعل المنبه أو الدواء فى جسمه . كان يرسل الحياة فى قلبه أغان وفى دمه أنغاما حية . ولكن الدواء يأسر الجسم بالتعود . فكان يشعر بأنها إذا امتنعت فقد النشاط والسعادة والأمل . ولم يكن يريد أن يفقدها بعد أن ذاقها لذلك كان شديد التعلق بهذه النشوة الجديدة بكل ما فى نفسه من قوة وحياة

* * *

ولم تحضر ذات صباح

كان ذلك كريح باردة عاتية . وأحس باضطراب والم ودهشة . كان يعتقد أن الامور سوف تسير فى نظام وترتيب آلى . لم يكن يستطيع أن يفكر أو يقبل أى تحول . كانت عقيدة البساطة المخدرة . ألا تشرق الشمس كل صباح . . وستظل ؟ وهى . . شمسه . . لماذا غابت ؟ مريضة ؟ كانت أمس كالزهرة اليانعة . . اذن ماذا ؟ أهذه النهاية الظالمة ؟ أين سعادته ؟ . أين أحلامه ؟ . لم لا يجد لذة فى عمله وجلسته الكسول فى الشمس ؟ الشمس ! أين ذهب جمالها وذهبها ؟ وماله يشعر بقلبه بارداً ثقيلا كالحجر . . كل شىء غير طبيعى . حزين . مزيف . مهجور . تائه . .

ومرت أيام بطيئة . ميتة . مظلمة . واثبت غيابها لنفس عطشى المنتظرة المترقبة التى يتنازعها الشك والأمل أحد أمرين : مرضها أو انقطاعها

وأخيراً تجرأ وسأل زميلة لها . وأخبرته انها انقطعت لانها خطبت . وسكت . . وابتسم . خطبت ؟ ستتزوج . . انقطعت ؟ لن يراها بعد اليوم . وابتسم فى مرارة .

من هو ؟. ماهو ؟ لا شيء.. أقل من لاشيء. أقل من تلك الحيوانات المدللة عند الاغنياء.!
ولم يشعر باقتناع ولا هدوء ولا راحة وأصبح عمله يعذبه لانه كان يجلس فى الصباح والأصيل ينظر إلى باب المدرسة كالحالم يريد أن يرى وجهاً تسبق رؤيته دقات قلبه ولكنه لم يظفر بذلك فازداد ضيقاً وتبرما بالحياة وحمل صندوقه ذات يوم على أن لا يعود بعد أن عبست فى وجهه الحياة بعد ابتسامة خادعة ..

وزين له رفاق السوء سبيل السرقة من الاغنياء الذين يجمعون مال الدنيا فلا يتركون لأمثاله شيئاًوسهلت حالته النفسية انقياده وكانت له مهارة غامضة فى فتح الاقفال والاقفال بواسطة قطع صغيرة من الصلب الدقيق الملتوى دون عنف أو قوة .. وأجاب دعوتهم ليس حباً فى السرقة وانما انتقاما لنفسه من دنياه وانتقاما لقلبه الذى حطمه الفقر..وحصل على المال الذي كان عسيراً عليه ووجد منه زيادة تمده بما كان محروما منه من طعام وملبس ولهو فمضى يشبع نفسه الجائعة قدر المستطاع ينفق كل ما يحصل عليه ويترك الغد يدبر نفسه

ولكن هل اقتنع ؟ كلما هم قلبه بالاحتجاج وذكره اغرقه بالمادة واندفع فى اللهو حتى الاعماق. ولكن فى صراع المادة مع العاطفة فى النفوس الحساسة الجائعة .. لمن يكون النصر ؟ كلما اعتقد بأن قلبه كاد ينام أحس مرة أخرى بالنبض يرتفع وبصداه فى فؤاده .. ويهتاجه فى كل ضربة من ضرباته .. فيتعمق فى عمله الجديد يبغى ما هو أشد خطورة ليستطيع أن يحول تيار حواسه فى سبيل واحد : سلامته . وكاد ينجح عن هذا السبيل أكثر من كل السبل مجتمعة لان الانانية الكامنة لتطغى على العاطفة وما سواها فى وقت الخطر فلا يفكر الانسان إلا فى نفسه بكل قواه وحواسه

وقرر مع نفر من رفاقه عملا أوسع وأكبر وأخطر .واستغرق الاستعداد للعمل أياماً عدة . كلف واحد بمراقبة المتجر وملاحظة أحواله بينما الباقون ومن ضمنهم عطية يعدون العدة والادوات اللازمة ويجتمعون فى المساء لسماع تقرير المكلف بالمراقبة . وانتظروا إلى ان خليت الشقة فوق المتجر فعملوا الترتيبات اللازمة لاستئجارها . وفى الليلة المعينة بدأوا العمل بعد اقفال المتجر بقليل وفتحوا ثغرة فى سقف المخزن الداخلي . ونزل عطية مع

ذلك الذي كان مكلفاً بالمراقبة على سلم من الحبال . ووقف اثنان لمراقبة الطريق من نوافذ الشقة وبيد كل منهما حبل طرفه الآخر مربوط بذراع عطية لتبادل الاشارات ساعة الخطر .

وحمل عطية وزميله أكياساً من البطاطس من المخزن الداخلى ووضعاها على أرضية المتجر أمام الخزانة وقلبوها فوقها فلم تحدث صوتاً . وبدأ عطية يعمل على ظهر الخزانة — وكان المتخصص فى هذه الأعمال لما بدا منه من استعداد للمران والتجربة والتصرف — وهو يشعر بهزة غامضة مهتاجة لخطورة العمل الكبير . كان عطية يحمل بطارية ذات نور أزرق خافت محدود . وكانت يداه النحيفتان تعملان بمهارة واستمرار وصمت وخفة وبدأت قطرات من العرق تتجمع فوق جبينه وتلمع إذا أصابها النور وتنحدر على وجهه . .

وأخيراً تمت الفتحة ومد يده يستخرج محتوياتها ويتفحصها واحدة بعد أخرى . وكان يلقى الأوراق المطبوعة والمكتوبة جانباً بعد نظرة سريعة وهو بعد فى شوق إلى الوصول للأوراق المالية . ثم لمست يده ورقة من الكرتون . ونظر فيها صورة فوتوغرافية وألقاها جانباً ومد يده إلى الخزانة وأخرج أوراقا مالية . وشعر بهزة الفرح واضطربت يده فوقعت منها ورقة وسلط أشعة البطارية عليها وكانت الورقة فوق الصورة . ورفعها فبرز من تحتها وجه . . وجه جميل برىء منير . وشعر بوخز فى قلبه وعقله وضميره . والتقط الصورة وسلط عليها النور الخافت واضطربت دقات قلبه وعلت واصطدمت حتى كادت تخنقه وفجأة شعر بالحبل المربوط فى يمينه ينجذب إلى أعلى مرتين متتاليتين فأقفل نور البطارية وساد الظلام . .

صورتها مع أبيها ! هذا إذن متجر أبيها . لقد قال له الرجل حينما قابله وأعطاه العشرة القروش أنه تاجر .. وفى هذا الشارع .. ولكنه نسى تماما . وزاد العرق المتجمع على جبينه وأحس باضطراب شديد وقلق وترددت أنفاسه فى صعوبة . الوقت حرج فما العمل؟ وصعد الدم حار الي رأسه محتجاً ثائراً . لماذا ينهزم ساعة النصر ؟ ورفاقه؟ وشرف اللصوصية والقسم الذى ارتبط به معهم ؟ والقصاص الرهيب الذى هو جزاء كل من يحنث بالقسم ؟ وارتعش . لماذا يضحى بحياته ؟ للخير ؟ للانسانية ؟ لفرد من الناس ؟ ولكن أهناك خير

وانسانية حقيقة ؟ أين ومتى أحس بهما .؟ أبداً ليغلق قلبه ويخنقه ويرغمه علي الخضوع . ثم ينتظر نصيبه ويرحل الى بلد آخر حيث الشبع والراحة .. ولكنه أحس فى هذه اللحظة بصوت هادىء متزن قريب بعيد يخاطبه فجأة فالتفت حوله فما وجد شيئاً .. وظن أنه رأى فى الظلام خيالا رقيقاً . ولكن لا ، لقد خدعته عيناه .من أين إذاً أتى الصوت؟ من أعماقه ؟ من ذلك الشبح الذى يقولون انه يلازم كل حى . وأجبره الصوت على أن يصغى اليه . « أين ومتى ! ؟ والفتاة . ألم تقدم لك شيئاً ؟ ألم تسعدك ؟ ألم تخلق فى أعماقك شيئاً ؟ تكلم . أم لاتقدرون إلا المادة وتتجاهلون الهبات الروحية التى تتوقف عليها حيويتكم ونشاطكم والتى هي أنفذ علي التغلغل الي أعماقكم ورفعكم إلى غير مستوى الحيوانات العجم ؟ لقد أعطتك يا هذا ما لا يقدر بمقياس دنيوى .. والويل لناكر الجميل ... ! »

ونظر الى الاوراق المالية وقد أطبقت عليها أصابعه وعبثت بها وأدخل يده فى الخزانة ووضعها . لا يستطيع أن يمس ما علك . لقد أخطأ . لقد سلم قياده للشيطان - وهاهو يدفع وليساعده الله

وأمسك الكيس القهش وملاه بأوراق عادية مما حوله وربطه بخيط — وأحس بالحبل فى يمينه ينجذب ثلاث مرات فأضاء البطارية وسأله رفيقه :

— هل انهيت ؟

— أجل لقد انهيت ..

— ألم تترك شيئاً ؟ . . . كلا !

وتنبه عطية ، فمد يده وأخذ الصورة وأخفاها فى صدر ثوبه فسأله رفيقه :

— ما هذا ؟

— كل شىء . !

— ماهو حقيقة ؟

— قلبى ! وضحك فى مرارة

وظنه زميله يهزل فسايره فى هزله :

— أكنت تعيش من دون قلب ؟

— فقدته منذ حين وأخيراً عثرت عليه هنا !

ومضى يضحك فى صوت ميكانيكى خافت أجوف .. وانحدرت دمعتان صامتتان فوق خده الشاحب ..

— هيا بنا ..

وتنهد عطية ...

* * *

.... ومضت الحياة تسير غير عابئة .. آلية .. منظمة .. تبسم لمن تشاء وتعبس لمن تشاء .. ولكنها دائماً تزحف دون اهتمام الى نهاية غامضة شاحبة .. وتدور .. وتدور .. وتدور ..!

محمد سليمان على

فؤاد عبد الملك

الأستاذ فؤاد عبد الملك قوة فنية ساحرة مدهشة . قل من يدركه سرها . وقل من يقدرها وقل من يعرف كيف يستفيد منها

والذين يعرفونه والذين يدركون فضله ونبله ليس فى قدرتهم أن يستخدموا مواهبه وينفعوا البلاد بعلمه

لأن القابضين على دفة الفن فى البلد قوم أنانيون ، يحتكرون العمل لأنفسهم ويعملون لكبت مواهب كل امرىء غيرهم خوفا على مقامهم . وخشية من ظهور عجزهم

والاستاذ فؤاد عبد الملك . مصري المولد والنشأة . فى السادسة والخمسين من حياة كلها حركة وجهاد . ولكنك تظنه ابن أربعين فقط . لانه يخالف الاغلبية الساحقة من أهل الفنون والآداب المستهترين بصحتهم العابثين بأبدانهم . فهم إما أن يموتوا فى الخمسين أو يعيشوا معلولين ممرضين

ولد فؤاد فى القاهرة سنة ١٨٧٨

أبوه المرحوم جرجس عبد الملك . وجده عبد الملك سعد

والاب والجد من تجار الحمزاوى

وكان الجد متعهداً لتوريد الاثاث والملابس للحكومة فى عهد الخديوى اسماعيل

وعنى الاب جرجس عبد الملك بتربية أولاده وتعليمهم

وأدخل فؤاد فى كلية الفرير بالخرنفش . ثم نقله الى مدرسة الآباء اليسوعيين فى الفجالة . وظهرت مواهبه وحبه للفنون صغيراً . فكان يساعد أساتذته فى تنسيق المراسح التى تعد للحفلات المدرسية

وتخرج من مدرسة الآباء اليسوعيين فى سنة ١٨٩٥

وبعد خروجه من المدرسة شرع فى تلقى دروس الرسم والتصوير الشمسى على المسيو جورج دى بييف

وقدمه أستاذه إلى المسيو ليكجيان ، كبير مصورى الفوتوغرافيـة فى مصر

حينذاك . فاتخذه مساعداً أول له . وأعجب الفنيون المصريون والاجانب بفنه وانفراده باقتباس ما يزيد الصور رونقاً بالتلوين وتنسيق مجموعات التذاكر المصورة للمناظر المصرية

وفي شتاء سنة ١٨٩٦ حضر الى مصر الكونت لاندبرج المستشرق المعروف ، يحمل عدداً من المناظر التي التقطها في جنوب بلاد العرب . وقصد محل ليكجيان . وسأله عن فتى لاظهار هذه المناظر وطبعها . فدله على الشاب فؤاد عبد الملك . وقام فؤاد بالعمل وأعجب به لاندبرج وطلب منه أن يصحبه في رحلة قادمة الى بلاد العرب في الشتاء التالي فلبى الدعوة

وتمهيداً للرحلة وتأهباً للعمل ، سافر فؤاد الى ألمانيا ودخل الي مدرسة الفنون الجميلة في مونيخ (عاصمة بافاريا) وأوصى به الكونت لاندبرج مدير المدرسة وأساتذتها فعنوا بتعليمه وتدريبه

وكان فؤاد يزور الكونت وعائلته من حين إلى حين في قصرهم بضواحي مونيخ ويصحبهم في زيارة ذويهم بمزارعهم . وفيها درس فؤاد حالة الزراعة والصناعات الزراعية وتقدمها في ألمانيا

. وفي أواخر سنة ١٨٩٧ أعد فؤاد كل ما يلزم من أدوات الرسم والتصوير ، وغادر والكونت ألمانيا الي مصر فعدن . وتوغلا في بلاد العرب ومعهما الضابط الانكليزي الذي كان يعرف حينذاك « باسم الشيخ عبدالله »

وعاد فؤاد الي مصر . واشترك مع المسيو سريجوس في معهد للتصوير . ولكنهما لم يفلحا فأغلقا المعهد . وذهب كل في وجهة

وأنشأ فؤاد معملا للالبان والمنتجات اللبنية يدار بالآلات الحديثة والطرق الفنية الصحية . فصار موضع ثقة مديري الفنادق الكبرى والمستشفيات والاسر الراقية فوسعه ونقله الى الزمالك

ثم جاء ألمانيان الى مصر وفتحا معملا للالبان . ولكنهما لم يلبثا حتى أعلنا الافلاس فاشتري فؤاد معملهما بكل ما فيه من آلات وضمه الى معمله ووسع نطاقه وأنشأ فروعا له لتصريف المنتجات وبيع آلات الزراعة في شارع قصر النيل وقصر الدوبارة وحلوان وسان استفانو

ووضع رسائل فنية سهلة لارشاد المزارعين المصريين لاستخراج القشدة والزبدة والجبن وحازت معروضاته اعجاب زائرى المعارض الزراعية فى أول عهدها ، فنال المداليات الذهبية والفضية ، وكان صاحب العظمة السلطان حسين رئيس الجمعية الزراعية فى طليعة منشطيه ومشجعيه على أعماله الفنية الصناعية

وبقى نجم فؤاد مزهراً ساطعاً حتى كانت أزمة سنة ١٩٠٧ المالية فنالت من فؤاد مانالته من غيره من أرباب الاعمال . فصفي معمله وفروعه

وفى أواخر سنة ١٩٠٨ سافر فؤاد الى أوربا . وأنشأ فى باريس مكتباً للاعمال التجارية والفنية ، صار فى زمن وجيز موضعاً لثقة كبار التجار . فأقام له فرعا فى لندن وآخر فى باريس . وطفق يجول فى أنحاء أوربا متنقلا من عاصمة الى أخرى لخدمة مصالح كبار التجار والدعاية لمصنوعاتهم . دارساً الحركات التجارية والفنية . وتمكن خلال ذلك من اتقان اللغات الالمانية والايطالية والروسية الى جانب اللغتين العربية والفرنسية

وفى سنة ١٩١١ شرعت الحكومة الروسية فى إقامة معرض دولى فى أودسا . وعرضت على الحكومة الفرنسوية الاشتراك فيه فاعتذرت . وعهد بعض أصحاب المعامل الفرنسوية المعروفة الى الاستاذ فؤاد عبد الملك فى أن يقيم لهم قسما فى المعرض الروسى لعرض أشغالهم ومنتجاتهم

فلبى الدعوة وكان هذا القسم الفرنسوى فى المعرض الروسى اللؤلؤة الساطعة فى اناقته وتنسيقه وزخرفه

وفى أيام الحرب العظمى أدى فؤاد للحلفاء عامة ولفرنسا خاصة خدمات جليلة فى الصناعة والدعاية الادبية . وله في الدعاية كتاب بالفرنسوية شهد بفائدته ونفعه غير واحد من رجال السياسة والحرب

وندبته الغرفة التجارية الروسية الفرنسوية سنة ١٩١٦ للسفر الي روسيا غير مرة لتموينها بما ينفعها من صنوف المصنوعات . فقام بالمهمة خير قيام . وسافر الى روسيا غير مرة الي أن شبت ثورة البلاشفة وانقطعت الصلات بين روسيا ودول الحلفاء . فقصر عمله على التجارة فى فرنسا وانكلترا . وقام بتعهدات لجيوش الحلفاء . وأنشأ فى باريس ورشة

للميكانيكا والنجارة الدقيقة وصناعة الأثاث كان لها نصيبها من النجاح

ولما أعلن الصلح قرر فؤاد العودة الي مصر

واستقبل الوفد المصرى برياسة المرحوم سعد زغلول باشا فى باريس سنة ١٩٢٠ وفيه غير واحد من أصدقائه وزملائه فى الدراسة . وأبلغهم غرضه ورغبته في الاوبة الي مصر للجهاد في الاستقلال الوطنى . فأمنوا عليه وودعوه سائلين له النجاح في اتمام مقاصده

وعاد فؤاد الى مصر بعد أن غاب عنها ١٣ سنة تامة

وبدأ في تنفيذ أغراضه ومشروعاته الفنية . فأنشأ فى شارع فؤاد الاول مصنعاً لتشجيع الفنون عامة وصناعة الاثاث خاصة . وجمع حوله نخبة من الفنيين المصريين . فأقبل عليه السراة والاعيان من أهل الذوق الذين يدركون الدقة فى الفن والمهارة في تطبيق الفن على الصناعة . أضف الي ذلك أن الاستاذ فؤاد لم يطلب في مصنوعاته مثل الأثمان التى يطلبها تجار الاثاث الافرنكى الفنى

وكان جماعة من الرسامين والمصورين الفنيين والهواة المصريين قد ألفوا جمعيـة وعزموا علي اقامة معرض فنى للصور . وافتتحوه لاول مرة سنة ١٩١٩ فى دار جامعة المحبة القبطية

ورأى الاستاذ فؤاد أن يشجعهم ويسهل لهم مقاصدهم . ففتح لهم داره الواسعة لعرض صورهم فى سنة ١٩٢٠ وبذل جهده في مساعدتهم بخبرته الفنية علي ترتيب الصور وتنسيقها وضمانها من التلف

فكان هذا المعرض أساس النهضة الفنية وفاتحة عهد جديد لمعارض القاهرة السنوية

وتأييدا لهذه النهضة وتثبيتاً لدعاتها ، سعى الاستاذ فؤاد عبد الملك فى تأليف جمعية محبي الفنون الجميلة لخدمة الفنون وترقيتها

فأنشأت هذه الجمعية . وانتخب الاستاذ فؤاد سكرتيراً لها ومديراً لاعمالها . فكان ولا يزال يدها العاملة وروحها المحركة

وكان أول عمل أتاه لخدمة هذه الجمعية انه استأجر لها سراى تكران باشا فى شارع ابراهيم (نوبار سابقاً) وهي الآن ملك صيدناوي . من أفخر سرايات القاهرة الكريمة ذات حديقة عريضة النواحي واسعة الجوانب

وأصبحت سراى الفنون الجميلة مركزا للمظاهرات الفنية . وأهمها معارض الصور الاهلية . ومعارض الفتوغرافية والسينما . ومعارض الصور الأجنبية . ومعارض الكتب والتجليد . ومعارض التحف القديمة الخ الخ

والي جمعية محبي الفنون يعزى الفضل فى انشاء متحف الفن الحديث الذى تديره وزارة المعارف . وتختار له أبدع ما يرسمه المصورون المصريون . واذا كان لا يزال صغيراً ضيق النطاق ، فان الايام كفيلة بنموه واتساع دائرته

وكذلك عمل الاستاذ فؤاد فى تكوين جمعية الموسيقى المصرية . وهى جمعية فنية يشترك فى عضويتها نخبة من كبار المصريين والاجانب محى الموسيقى والعاملين لنهضتها . ومركزها فى سراى الفنون . وتحيي فى الموسم عدة جلسات فنية فى قاعة ايورت والليسيه الفرنسوية . ويجتمع فيها المئات لسماع أوركسترات فنية منتخبة أو عازفين مشهورين على البيان أو الكمان أو الفيولونسيل

ولاحدي عشرة سنة ، انشأ معرضاً للأطفال ، على مثال ما يسمونه فى أمريكا وانكلترا أسبوع الطفل . فجمع فى دار الفنون بشارع فؤاد الاول ، خير ما يعرض من أطعمة الاطفال ونماذج للرضاعة الصحية وأدوات صحية وملابس واسرة وغيرها

وأعد قاعة خاصة لسماع محاضرات يلقيها مشهورو الاطباء الاخصائيون فى علاج الاطفال

ولكن البلاد كانت مشغولة حينذاك بالحركة السياسية . فلم ينل معرض الطفل شيئاً ما كان ينتظر له من الاقبال . فلم يعده الاستاذ فؤاد سنة أخرى

وفى المعرضين الزراعيين الكبيرين اللذين أقامتهما الجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٠ انتدب الاستاذ فؤاد مديراً فنياً للتنظيم . فكان مرشد الجمعية فى وضع المسطحات وتنشيف الاقسام وترتيبها . لاتتم عملا فنياً إلا بعد استشارته . وفى كل من المعرضين خرج مشكوراً مزوداً بالاجلال والتقدير بخطابات أرسلها اليه مدير المعرض

وفى سنة ١٩٢٣ طلب المدير العام لمصلحة التجارة والصناعة من الاستاذ فؤاد أن يدلى اليه برأيه فى تنظيم معرض المصلحة لمناسبة نقله من باب اللوق الي شارع قصر النيل . فوضع تقريرا شاملا رفعه فى شهر مارس سنة ١٩٢٤ ثم أعقبه بمذكرة ايضاحية يسترشد

بها العمال فى تنفيذ ما ورد فى التقرير

وفى مايو سنة ١٩٣٢ وضع مذكرة شاملة عن اقامة المعارض والاسواق فى مصر والخارج لخدمة التجارة والصناعة المصريتين وانشاء متاحف دائمة لهذا الغرض مفصلا طرق الدعاية والاعلان عن مصر وتشجيع السياحة فيها . وقد وردت اليه خطابات شكر من بعض السفارات والقنصليات المصرية معلنة ارتياحها لاقتراحاته وآرائه العملية

وفى اكتوبر سنة ١٩٣٢ وضع تقريرا مسهباً عن انشاء مصنع للكبريت ابان فيه الطرق العملية لانشاء هذا المصنع وما يحتاج اليه من رأس المال والعمال والمديرين وما تجنيه منه البلاد . وختمه بقوله :

« ولدينا جميع الايضاحات والرسومات المتعلقة بهذا المشروع .وكذلك عينات الثقاب (الكبريت) المصنوعة بهذه الطريقة نضعها بين يدي من يهمهم هذا الأمر بدون مقابل . لان الغرض الذى نرمي اليه هو التمهيد لنشر الصناعات النافعة . . . »

وآخر منشاءات الاستاذ فؤاد متحف التماثيل وجنة الاطفال

ومتحف التماثيل منشأة لم تعرفها مصر قبل الآن . ولكن الذين زاروا عواصم أوربا رأوا فيها معرض جريفان بباريس ومعرض مدام توسو فى لندن. وفى هذين المعرضين تماثيل شمعية لحوادث ومناظر قديمة بالحجم الطبيعى . وقد تقع الحادثة الكبرى فلاتلبث حتى تراها مجسمة فى هذا المعرض وذاك

والمتحف الذى أنشأه الاستاذ فؤاد فى سراى محبي الفنون يمتاز بصبغته المصرية

وأول ما يشاهده المتفرج فى متحف الاستاذ فؤاد ، كهف تحت الارض يمثل المخابى الطبيعية التى كان المسيحيون المصريون (الاقباط) يدينون فيها كنائسهم فى عصور الاضطهادات الوثنية (أيام الرومان) وفى هذا الكهف امرأة تحضر عماد (تنصير) ابنها وقسيس يعقد اكليل (زواج) فتاة مصرية على شاب مصرى. وعلى الكنيسة مدفن لشهيد قبطى. والى جانبها امرأة رومانية قديمة فى حمامها وهو حوض من المرمر لا يختلف كثيرا عن الحمامات البيتية المصرية

ثم يرى الزائر قهوة بلدية وبائع عطور وطنى يعرض بضائعه على سيدة مصرية حسناء ثم غرفة تمثل فيها حياة المدمن على الكوكايين. وقاعات ترى فيها احتفالات الخديوى

اسماعيل بافتتاح قناة السويس . ومنظر متحرك لأسماك البحر الأحمر . والملكة كليوباترة وأمامها جارية تقدم لها الثعبان الذى نفث سمه فيها فقتلها

وخيمة فى معسكر الصليبيين تجمع بين صلاح الدين الأيوبى (فى زى طبيب) ريكاردوس قلب الاسد . وأخيرا السيدة هدى شعراوى تحيي النهضة المصرية فى شخص الآنسة لطفية النادى ممتطية صهوة طيارتها

وجولة نصف ساعة فى هذا المعرض تغني عن مطالعة كتب عدة بل قد يستفيد فيها المتفرج مالا يستفيده من الكتب ومراجعتها

رأى الاستاذ فؤاد ان مدينة القاهرة ، على الرغم من وفرة ما فيها من الملاهى والحدائق لاتزال خلوا من رياض خاصة بالاطفال مجهزة بكل ما يسليهم ويفتح أذهانهم ويبعدهم عن موبقات الطفولة

وقد حاول غير مرة انشاء هذه الروضة التى تيسر له اتمام غرضه فى حديقة سراى الفنون. فأقام فيها أراجيح مختلفة وقطارا بخاريا ذا عربات يجول فى أنحاء الحديقة مجتازاً لضفتى جوتار وسمبلون وقاعات للسينما والتمثيل وأكشاكا للموسيقى وبوفيها للاطعمة الخفيفة والحلوى والمبردات الخ

وعزم على اقامة حفلات ليلية ومعارض للاطفال ومهرجانات شعبية وغيرها

وقد انتهز فرصة افتتاح معرض التماثيل فسأل المدعوين وفى مقدمتهم محافظ العاصمة لزيارة جنة الاطفال . فلبوا دعوته وطاف بهم أرجاءها وأخيرا ركب الجميع القطار . وانصرفوا مودعين شاكرين

* * *

وبعد ، فان هذا الاجمال كاف للتعريف بفؤاد عبد الملك وعلمه وفضله وخبرته وفنه. وهو الرجل الذى لايكل ولا يني . ولا تصده العقبات عن خدمة وطنه وبلاده . ومن المؤلم أن لاتقدر الحكومة (وهى فى مصر كل شىء) مواهب الرجل فتستغلها للفائدة العامة

توفيق حبيب

انقره والاتراك

للرحالة محمد ثابت

دخلنا أنقره ليلا فبدت أضواؤها خاطفة وثريات الكهرباء بها منثورة على الربي وفى السهول فى مشهد جميل وقد أقيمت قبل انقره مباشرة ضاحية « الغازى » حيث يقوم قصره وتمتد حدائقه المنسقة امتداداً فسيحاوهي تكادتلتهب ضوءاً . حللت نزل «أناضول» وقمت فى الصباح أجوب انقرة واذا بها قسمان قديم وحديث . فالقديم فى ازقته الحجرية المتحدرة وبيوته المكتظة الصغيرة المطلة بشرفاتها نصف العربية ولياليها غير المنظمة تشرف عليها قلعة المدينة فى ربوة شاهقة وتقوم كثير من الابنية على منحدراتها وتعوزها النظافة وحسن البناء وفيها دفن امرؤ القيس . وقد فتحها المعتصم الخليفة العباسى وفيها وقع السلطان « يلدرم بايزيدخان » اسيراً فى يد تيمورلنك سنة ١٤٠٢ . والقسم الحديث يعادل أرقى البلدان نظاما قصوره فاخرة بولغ فى ضخامتها وتجميلها والطرق به فسيحة ومنابت الكلأ تحفها الاشجار فى امتداد رائع . وفى وسط غالب الميادين تقوم تماثيل الغازى . ولعل أجملها ميدان « ملت ميدان » والغازى يمتطى جوادا ووراءه تركيا فى زى امرأة عجوز تحمل قنبلة ووجهها مقطب



الرحالة محمد ثابت

كئيب وقد أعياها التعب والى جانبها الأمامي جنديان بأسلحتهما يكشفان الطرق ويتأهبان للفوز . والمدينة على صغرها كثيرة الحركة أهلها أهل نشاط وشعور عجيب بالعزة القومية شأن كل أبناء الاتراك وهم جميعاً مؤدبون كريمو الطبع يزين ذلك وقار ورزانة جعلت لهم مهابة وأنفة وهم فخورون بفوزهم لايفتأ الواحد يقص عليك نبأ حرب الاستقلال ويمجد لك فى تركيا وما فيها ويعتذر عن بعض النقص والتأخر فى البلاد التركية . فحركة الاصلاح لم يمر عليها عشر سنين وقد خلفت الحكومات الماضية للحكومة الحاضرة تراثاً موبوءاً ثقيلا يتطلب الاضطلاع به واصلاحه مجهود الجبابرة وأموال الملايين وكم كان عجبى عظيما عند ما كنت ألمس حركة النهوض فى كل شىء وفى سرعة عجيبة رغم عوز البلاد المالى الشديد لكن الأخلاص وخلو البلاد من الدخيل هو الذى أكسب القوم قوة تدفع بهم الى النجاح المتواصل. وحتى فى الناحية الدينية هم يمتدحون للغازى تصرفه فقد أوقف كل الترهات والشعوذة التى تحط من شأننا وشأن ديننا كثيرا وحرم الزواج بغير واحدة وأباح للشاب انتقاء خطيبته وحتم على المرأة التعليم على قدم المساواة مع الرجل فما دخلت مكتباً أو متجراً الا وكان للنساء فيه عمل واضح وحتى فى الصلاة تقام الشعائر الدينية ويدخل الناس المساجد بالقبعات ان شاءوا خلعوها ووضعوها على الحمالات فى جوارهم وان شاءوا أداروا أفاريزها الى أقفيتهم وأدوا الصلاة مثبتاً بذلك أن الدين لا يحتم زياً خاصاً قد يقعد بتقدم الشعب حتى عن الحركة والنشاط . وكنت كلما جلت فى البلدة وتفقدت مختلف نواحيها زادني الاصلاح الذي يجرى بها سراعا دهشة واعجابا . صعدت الربوة المشرفة على أنقرة حيث القلعة القديمة ونقبت فى أزقتها التى تضم طائفة من الاهلين فى أكواخ بائسة وكان يبدو على الناس الفقر وهم فى أسمالهم المهلهلة ولكنهم كانوا رغم ذلك فخورين بتركيتهم واستقلالهم . وما فائدة الغنى فى الاسر والاغلال ! وكانت تتجلى من دوننا أنقرة الجديدة فى طرق فسيحة وقصور مشيدة بولغ فى تنسيقها وتضخيمها وبخاصة دور الحكومة ، والدولة آخذة فى إقامة العمارات فى كل مكان وفى تنسيق المتنزهات للشعب تفتح أبوابها دائما وتعزف فيها الموسيقات كل أصيل وبخاصة فى متنزه البرلمان الذى تزينه الابنية وأحواض من الماء مدرجة صفت المقاعد حولها فكنت أرى الجماهير يغص بهم المكان والنساء سافرات يختلطن بالرجال فى رزانة وصمت وهدوء حتى كان يخيل الى اني فى مونت كارلوا تماماً

والدولة تقصد بعزف الموسيقى هكذا أن تدرب آذان الناس على الانغام الغربية فأذا طوحت ببصرك لمست اخلاص الدولة وتفانيها فى النهوض بكل شيء . وكنت أتساءل من أين لهم تلك الاموال ونحن رغم توافر مواردنا لا تفي بالواجب . حقاً أن كل قرش هنالك يدخل خزانة الدولة ينفق فى التعمير والانشاء . ويزيد اعجابنا إذا علمنا أنهم ينفقون على جيش كبير بمعداته وطياراته وبواخره هذا الى الهمة المدهشة التى يبذلونها فى ربط اطراف البلاد بسكك الحديد رغم تكاليفها الباهظة فى تلك البلاد الجبلية الوعرة . فالخط الى البحر الابيض مد الى طرابزون وفى شرق انقرة كاد يصل الى أرضروم وفى الجنوب وصل البحر الابيض وفى الجنوب الشرقى وصل الى نصيبين . كل هذا كان يدهشنى والحكومة فقيرة والناس معوزون ولكن كفى بالاستقلال معيناً على ذلك فغياب الاجنبى من المجال الاقتصادى فسح المجال لابناء البلاد فعدوا إلى التقدم سراعا . وأنت لا ترى اليوم للاجنبى فى بلادهم من أثر

ونساء الاتراك رغم سفورهن بعيدات عن الخلاعة والاسراف فى التزين فهن يسرن فى وقار وهن فى نظرى لسن ساحرات فى الجمال والجمال الفاتن نادر بينهن فالشاميات أوفر جمالا كذلك تعوزهن الرشاقة ولم يقع نظرى على سيدة تحكى « كرمان هانم » ملكة الجمال لديهم ولذلك لم أعجب لانتخابها رغم أنها دون ذلك المقام فى ظننا لكنى أعود فامتدح فيهن هذا الاتزان والوقار . فالتركية زوجة فاضلة لا محالة وكنت ألاحظ كثيرات منهن يلبسن ملاءات وفوق الرأس قناع أسود كالستار لكنه بدل أن يسدل على الوجه يرفع فوق الرأس فظننت أن هذا من أثر الرجعية الأولى

وتكثر هنالك المقاهى والمقاصف وفى غالبها تسمع الحاكى بانغامه التركية وأغانيه الشجية ويظهر ان الكثير منهم ميال الى المسكرات وبخاصة العرق والزبيب فما يكاد الليل يقبل حتى تراهم عاكفين على شربه ولا يخف قرع النرد ليلا ونهارا . دخلت مرة مغنى تركيا شرقيا على نمط « الف ليلة » فى مصر فكانت الآلات الموسيقية : الكمان والعود المعدني والقانون يعزف بالمضارب لا بالاصابع ثم الرق والناي وامام كل أولئك سيدتان فى حشمة ووقار وكانت الاغانى مقطوعات على نمط الموشحات تتقدمها الموسيقى الصامتة فى بشارف قصيرة ومقطوعات مثل « اللونجا » ولم الاحظ بينهم عادة التقاسيم الفردية

من العود والكمان وغيرها . واعقب ذلك فصل آخر عرض فيه العازفون بعض الموسيقى الاسبانية فى شبه طنبورة ومزمار طويل ودف وكان يلبس العازفون اردية عجيبة من سراويل ضيقة وجكتات زرقاء ورئيسهم فى معطف اخضر طويل وامام أولئك صف من السيدات تغطي رؤسهن بمنطقة بيضاء . بدأوا العزف فى دور موسيقى صامت ثم أعقبه مغنى حماسى ثم رقص اسبانى يصحبه تصفيق من الفتيات وصيحات من الرجال فيما يحكى « الرقص البلدى » عندنا فكان الطرب آخذا منا كل مأخذ فقلت فى نفسى لم لا يحاول معهد موسيقانا عرض مثل هاتيك الشرقيات فيعطينا فكرة عن موسيقى جيراننا : الاندلس والمغرب والشام والترك والعرب وهى أقرب الى اسماعنا من موسيقى الغرب التى لا تروقنا كثيرا ؟

قصدت الى مقر الغازى حيث قصره المنيف يشرف على ربوة حولها حدائقه ودونها حى « تشان كايا » الحديث فى طرقه الممدودة وقصوره الفاخرة وهى مسكن الطبقات الارستقراطية ودور السفارات ومن بينها سفاراتنا وكنت اعجب لاختيارهم انقرة فى ذلك الموقع المجدب الجاف تحيط به الربى التى عريت عن النبت فى منظر غير جذاب على أن موقعها المتوسط من هضبة الأناضول وسهولة تحصينها بسبب ما يحوطها من ربي يبرر في نظرى هذا الاختيار اذ لو اقيمت فى اطراف الدولة وهى أوفر خصبا لتعرضت لهجمات العدو . والقوم مبالغون فى نشر المتنزهات ووسائل التجميل فى كل ناحية وترى أفراد الشعب يدخلونها بدون قيد حتى متنزهات دور الحكومة وقصور الغازى وكنت ارى ديمقراطيتهم بادية فى تجاور الفقراء باسمالهم الرثة وهم الأغلبيـة الى جانب الاغنياء . وعنـاية القوم بأطفالهم زائدة فكنت اري الاب المدقع فى ثيابه البالية يحمل طفله فى هندام نظيف ووجه ابيض ناصع لا تشوبه قذارة . والرجال يعنون بأطفالهم ونسائهم فترى زوجة هذا الفقير فى اردية نظيفة فلا تكاد تصدق انها زوج ذاك الصعلوك . واجمل ما يروقك هندام الضابط من الجيش والبوليس ، مظهرهم مهيب فى ملابس أنيقة على نقيض الجنود فأرديتهم رديئة مهلهلة والغريب ان كل اولئك الافراد على مظهرهم الرث يقرأون ويكتبون وقد علمت أن نسبة من يعرفون القراءة من عامة الشعب ٨٩ ٪ بعد ان كانت لا تزيد على ١٠ ٪ من قبل وذلك بفضل الجهود الجبارة التى بذلها الغازى منذ افتتح المدارس الشعبية والليلية فى جميع القرى واجبر الاميين على أن يحضروها الي سن الستين ومن تخلف

وتردد المعتمد بين القسوة والرفق ، حتى جاء أمر جعله يجزم ، فان ابن عمار لما سمع حديث المعتمد وفهم التلميح الذى فيه بالعفو ، أخذته الحماسة والفرح . فكتب من فوره إلى الراضي ـ ابن المعتمد ـ بما كان بينه وبين أبيه ، فورد الكتاب الى الراضى ومعه جماعة بينهم وبين ابن عمار احن قديمة . فلما أخبرهم الراضى عن قرب الفرج الذى سيناله ابن عمار أظهروا الفرح وهم يبطنون الحقد والجزع ، فلما قاموا من مجلس الراضى نشروا حديث ابن عمار وخطابه وزادوا فيه زيادة قبيحة ، وبلغ المعتمد ما قالوا . فأرسل الى ابن عمار رسولا وقال له : هل أخبرت أحداً بما كان بينى وبينك ..؟ فأنكر ابن عمار . فقال المعتمد للرسول قل له . الورقتان اللتان طلبتهما لتكتب قصيدة . قد كتبت فى أحدهما القصيدة . فما فعلت بالاخرى.؟ فادعي أنه بيض فيها القصيدة فقال : المعتمد فأين المسودة؟ فلم يجد ابن عمار جوابا

فخرج المعتمد ثائراً وبيده الطبرزين «البلطة» حتى صعد الغرفة التى فيها ابن عمار . فلما رآه عرف أنه قاتله . فجعل يزحف وقيوده تثقله وهو منكب على قدمى المعتمد يقبلهما والمعتمد لا ينى يضربه بالطبرزين ، فلم يزل يضربه حتى برد ، فأمر بغسله وتكفينه .وصلى عليه ودفنه فى قصر له كان يسمي « المبارك » وصدق الوهم الذي استولى على أبي بكر وأوحي اليه حلمه

وكان ذلك فى سنة ٤٧٩

ولما قتله المعتمد هذه القتلة الشنيعة رثاه صاحبه الشاعر عبد الجليل بن وهبون بقصيدة فيها هذا البيت العجيب : ـ

عجباً له أبكيه ملء مدامعى وأقول : لا شلت يمين القاتل

محمود الشرقاوى

عالم من الازهر

تجد أخبار أبو بكر بن عمار فى كتب (١) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (٢) نفح الطيب (٣) وفيات الاعيان ج٢ (٤) قلائد العقيان (٥) المغرب فى أخبار المغرب (٦) الاحاطة فى أخبار غرناطة

ابواب المجلة الجديدة

١ — أخبار اقتصادية

٢ — أخبار اجتماعية

٣ — بين العاملين المصريين

٤ — تقدم العلوم والفنون

٥ — المرأة والمنزل

٦ — الكتب الجديدة

٧ — الصحة والمرض

٨ — أسئلة القراء





أخبار اقتصادية

انتصار البضائع اليابانية

عند اليابان مشروع يسمى « مشروع السنوات العشر » غايته الاستيلاء على أسواق العالم . وهناك جمعيات الفت لدرس هذه الاسواق والوقوف على أثمان البضائع التى تباع فيها ثم صنع هذه البضائع نفسها فى اليابان وبيعها بأثمان منخفضة . وتباع الآن فى اوربا هذه البضائع بالاثمان التالية التى لا يمكن الاوربيين ان يزاحموها :

بلبوس المصباح الكهربائى	بقرش للواحد
جوارب الرجال	بثمانية عشر مليما للزوج
القلم الحبار بسن الذهب	بثلاثة قروش
طقم قهوة مؤلف من ٩ قطع	بتسعة قروش
البسكليت	٩٢ قرشاً

وتباع المنسوجات اليابانية فى اوربا حيث يصنع مثلها بنحو ٧٠ — ٦٠ فى المائة أقل مما تباع به المنسوجات الاوربية. وقد قال أحد أصحاب المصانع فى فرنسا « انى لو سرقت المواد الخامة ولم اتكلف لها ثمنا لما استطعت مجاراة اليابان فى هذه الاثمان »

وفى العام الماضى انشئت فى اليابان تسعة مصانع لصنع الريون (الحرير الصناعى) وهذا غير المصانع القديمة التى تغمر العالم بهذا النسيج الجديد . والارباح التى تعود على الصناعة كبيرة كما يرى من الارقام التالية وهى المتوسط لسنة ٣٢ — ١٩٣٣

صناعتا الورق والاسمنت	١٠ فى المائة
صناعات الحديد	١٣ر٥ « «
« الآلات	١٥ر١ « «
« القطن	١٨ر٢ « «
« الخشب	٢٣ر١ « «
« الزيوت	٢٠٤ر٩ « «

وأعظم ما يمتاز به اليابانيون ثلاثة أشياء هي انخفاض الاجور التى تعطى للعامل وانخفاض النقد اليابانى الى ٣٠ فى المائة من أصله على قاعدة الذهب. والثالث أن اليابان محدثة فى الصناعات وهي لذلك تشترى الآلات الجديدة التى تنتج اكبر مقدار مع أقل التكاليف.

ولكن فى اليابان نقطة ضعف خطيرة هى أن هذا الامتياز الذى تمتاز به من ناحية انخفاض أجور عمالها يجعلها قليلة الاستهلاك لبضائعها التى تصنعها. فهى لا تستهلك فى بلادها سوى ٤٠ فى المائة مما تصنع وهي تصدر للامم الاجنبية ٦٠ فى المائة. فاذا استمرت هذه الامم على زيادة المكوس الجمركية فى وجه البضائع اليابانية اضطرت اليابان الى اقفال معظم مصانعها. وعندئذ تتعرض للعطل وما يجر فى أثره من اضطرابات اجتماعية. ولم يبلغ مقدار الصادر من بريطانيا والمانيا فى أحسن أيام الرخاء اكثر من ٢٥ فى المائة مما كانت تنتجه مصانعهما والباقى وهو ٧٥ فى المائة كان يستهلك داخل البلاد لان أجور العمال عالية تمكنهم من الشراء والتبحبح. ولم يبلغ الصادر من الولايات المتحدة اكثر من ١٢ فى المائة من الانتاج والباقي وهو ٨٨ فى المائة كان يستهلكها الجمهور لعلو الاجور هناك. ومن هنا يرى القارىء ان أعظم ميزة لليابان وهي انخفاض الاجور هى أيضا أخطر مكان للضعف فى صناعاتها

اتفاق الشركات بدل تزاحمها

لا يظنن القارىء ان الاحتكار هو نتيجة استئثار احدى الشركات بعمل تنفرد به دون غيرها، لانه اذا كانت هذه هي الحال فى شركة النور وبعض الشركات الاخرى، فان هناك احتكاراً جديدا اصبحنا نراه فى مكان المزاحمة التى كنا ننتظرها. وهذا الاحتكار ينشأ بالاتفاق بين الشركات التى كان الوضع التجارى الاصلى يقول او يوهم بتزاحمها

وهذا هو الحادث الاول مثلا فى الشركات التى تبيع البترول والبنزين. فلما رأت انها تخسر بالمزاحمة وأن الجمهور هو الرابح منها. فعمدت الى الاتفاق فيما بينها حتى أصبحت كأنها شركة واحدة تقرر الاثمان العامة وتمنع المزاحمة. وقد أصبحنا باتفاقها نشترى البترول والبنزين بأغلى الاثمان. ومما زاد هذه الشركات طغيانا ثقتها بأن الحكومة

المصرية تقاطع روسيا وتكره الاتجار معها فليس هناك اذن ماتخشاه من استيراد البترول منها وبيعه بثمن منخفض لقاء تصدير القطن اليها مثلا

وهذه الشركات الآن قد اتفقت فما بينها على ألا تعتدى واحدة منها على ميدان تستغله الاخرى أو أن تستخدم عمالها أو تزاحمها فى مناقصة للحكومة . وهي تستعمل نفوذها وأموالها لمنع الافراد من شراء أرض فى جهة المكس (بالاسكندرية) لبناء الصهاريج فى المنطقة الجديدة حتى يصبح من المحال انشاء شركة جديدة للبترول فى المستقبل ثم هى تشترى الآن أمكنة حسنة فى جميع الشوارع بالقاهرة والاسكندرية لكى تسد الطريق على كل من تحدثه نفسه بالاتجار بالبترول فى المستقبل مالم يخضع لشروطها . وقد شرعت هذه الشركات المتحدة فى سحب الرخص الفردية حتى أصبح ٨٠ فى المائة من رخص البنزين التى تملكها الدكاكين ملكا لها . وذلك لكى تقفلها عندما تجد ايةمعاكسة من صاحب الدكان . وقد حدث من مدة قريبة ان تاجراً يشتغل ببيع البنزين فى القاهرة اختلف مع الشركة التى تمده بالبنزين فنزعت طلمباتها من دكانه . فبحث هذا التاجر عن طلمبات واهتدى اليها بعد العناء وأقامها فى دكانه . فلما أراد شراء البنزين من هذه الشركات رفضت جميعاً أن تبيعه هذا السائل الذى يعيش بالاتجار به . ومما يذكر أيضاً ان أحد التجار أراد أن يبيع البنزين باقل من السعر الذى عينته الشركات وأرتضى لنفسه ربحا قليلا فلما علمت الشركة بهذا العمل أوقعت عليه غرامة وهددته بالمقاطعة

وعلى ذلك يمكن أن نقول ان المزاحمة بين الشركات غير مضمونة البقاء وأن الاتحاد بينها يؤدى الى احتكار لايختلف عن الاحتكار الذي نراه من شركة النور

الخشب والحرير

كان المصنوع من الريون اي الحرير الصناعى فى العام الماضى اكثر من ستة ملايين قنطار اى نحو محصول القطن فى مصر . وكل درهم من هذا النسيج الجديد الذى يستخرج من الخشب يستعاض به عن القطن . فاذا اطردت الزيادة فى الثلاثين او الاربعين من السنين القادمة فان القطن يعود من المحصولات التى يمكن الاستغناء عنها ما لم تعرض للبيع بارخص الاثمان

وهذا الريون تتفاوت مواده حتى ليباع منه المتر بقرش او بمائة قرش كما انه يقبل

الاصباغ التى لا يقبلها الصوف او القطن . وهو كما قلنا يصنع من الخشب وخاصة خشب الصنوبر . وقد شرعت الامم اليقظة تستعد لليوم الذي يتغلب فيه الريون على جميع المنسوجات فغرست زيلندا الجديدة مليون فدان باشجار الصنوبر . والمصنع الذى يصنع الريون يمكنه بالثقافة الكيماوية التى يتثقف بها صناعه ومهندسوه ان يصنع اشياء أخرى لا حصر لها من رب الخشب مثل الورق والصوف الصناعي والجلد الصناعى والباغة والافلام السينمائية والزجاج الذى لا يتشذر واقراص الفنوغراف واصباغ اللاكيه وغير ذلك

وقد القينا خطبة قبل سبع سنوات قلنا فيها ان مصير القطن الى الانقراض امام الريون فلم نجد من يصدق هذا القول . والان وقد بلغ محصول الريون محصول مصر من القطن فهل من يصدق الان قولنا وهل تتفتح الاعين المغمضة لتري هذا المستقبل المظلم لزراعتنا ونحن نجهل الصناعات جهلا يكاد يكون تاما ؟

تقرير بنك مصر

مما يسر كل مصرى أن بنك مصر سائر من نجاح الى نجاح . وقد بلغت أرباحه الصافية هذا العام ١٤١٩١٠ جنيه وحددت قيمة الكوبون الذى يوزع هذا العام بمبلغ ٣٢ قرشا أى ٨ فى المائة من قيمة السهم الاسمية . ورأس مال هذا البنك موزع على ٢٥٠ر٠٠٠ سهم يملكها مصريون . ومما يزيد الثقة فى هذا البنك العظيم أنه يملك الآن عقارات تقدر قيمتها بنحو ٤٠٦ر٣٦٢ جنيه وشركات البنك التى تأسست بمساعدته ورعايته فى تقدم مطرد . فقد تضاعف انتاج شركة مصر لغزل ونسج القطن واشترت آلات جديدة. وكذلك الحال فى شركتى مصر لنسج الحرير ولنسج الكتان . ولقيت شركة مصر للطيران نجاحاً عجيباً

وقد استطاع البنك أن يوجد نواة لاسطول مصرى تجارى واشترى بضع بواخر لهذا الغرض كما أنه قد توفق لانشاء شركة للتأمين سوف تكون مدرسة يتعلم فيها شباننا هذا الفن الاجتماعي الخطير

أخبار اجتماعية

الاجتماع والسياسة فى الهند

تحدث مراسل البلاغ فى بومباى مع ساروجينى نايدو الشاعرة وصديقة غاندى عن أغراض غاندى الآن وهل هو ترك السياسة فأجابته الاجابة التالية :

وهل نحن تركنا الاشتغال بها ؟ إننا لا نفتر عن محاربة الغاصبين لحظة واحدة فى سبيل الحرية ، وكل عمل يفيد الامة هو عمل سياسى ، ومن الخطأ أن تسمى العمل لبناء الامة وتثقيف عقولها وارشادها اقتصاديا وعلمياً واجتماعياً ، من الاعمال الخارجة عن الميدان السياسى ، فبناء الامة وتهيئتها للحرية من أهم واجبات الزعماء ، ولكى تقتنع بذلك تمام الاقتناع أذكر لك أن عدم التعاون فى الهند ليس الغرض منه مناوأة الانجليز فحسب ، ولكنه يتفرع الى خمسة مقاصد:

(أولها) اتحاد المسلمين والهندوكيين وجمعهم على فكرة واحدة يعمل لها الجميع

(والثانى) الاخذ بيد الطبقات المنبوذة فان اشتراكها فى تنفيذ سياسة عدم التعاون يقربها من بقية الشعب ، ويدفع الهندوكيين الى العطف عليها

(والثالث) نشر المغازل فى البيوت وبين الاسر فانه يوجد للفقراء وسيلة للارتزاق بدل ما هم فيه من الفاقة والاملاق ، وانما كانت الدعوة الى استعمال المغزل منوالا ينسج القوم عليه فى غير ذلك من الصناعات

(والرابع) نشر التعليم لان عدم التعاون يهيىء الشعب الى الاعتماد على نفسه والتعليم — كما نعلم جميعاً — هو أحد العمد الاساسية التى يرتكز عليها قوام الحياة اليقظة المنتجة

(والخامس) جمع الهند على لغة واحدة فتشتد بذلك الرابطة الوطنية بين الهنود جميعاً

هذه كلها مقاصد قد يسميها البعض اجتماعية ولكنها فى الواقع من صميم السياسة

إيطاليا تستعمر طرابلس

اختارت الحكومة الايطالية فى الشهر الماضى مائة فلاح إيطالي ممن يعيشون فى القرى

الواقعة علي البحر الادرياتي وحملتهم بالمجان على بواخرها الى طرابلس . وهنـاك قررت عليهم بناء قريتين تنتهيان فى عام ومنحت كل رجل منهم بقعـة من الارض الزراعية التى تجود فيها الحبوب والخضراوات . وقد شرطت عليهم أن يتموا بناء بيوتهم قبل نهاية العام واذا أهمل واحد منهم أو أساء الي البناء فانه يحرم من الارض ويعود عاملا أجيراً لاولئك الذين أحسنو البناء والحرث . فاذا دار العـام واتضح نجاحهم وبنيت القريتان عمدت الحكومة الايطالية الى أسر هؤلاء الفلاحين فحملتهم على بواخرها بالمجان الي طرابلس حيث يلتحقون بأزواجهم ويعيشون معهم مدى حياتهم

ومن قبل عام قامت الحكومة الايطالية بمثل هذه التجربة فنجحت فيها . وفى طرابلس الآن قريتان هما اللتان قام ببنائهما المهاجرون الايطاليون بدعوة من الحكومة الايطالية وكان نجاح هذه التجربة الاولى دافعا لها على أن تكررها هذا العام ثم تقوم بتكرارها فى الاعوام القادمة . وبذلك تتمكن من تخفيف الازدحام فى ايطاليا وتستعمر أيضا قطر طرابلس

واذا استمرت الحكومة الايطالية على هذه الخطة فانها ستؤدى بلا شك الى اجلاء العرب عن وطنهم واسكان الايطاليين مكانهم

تفتيش الملاجىء

انتشرت الملاجىء فى انحاء البلاد ولـكن انتشارها كان مفاجئا لذلك ظهرت فيها نقائص ترجع إلي السرعة فى الانشاء وهي تحتاج الى العـلاج السريع قبل ان يستشرى الداء . فمن ذلك ما حدث فى الشهر الماضى فى ملجأ للشيوخ والعجزة بالاسكندرية حيث ألقت النيابة القبض على ناظر الملجأ واتهمته بأنه عذب احد اللاجئين الذى حاول الانتحار تخلصاً منه وذلك بأن

١ — كان يجرده فى أيام البرد من كبوته ويتركه فى جلباب خفيف وقميص من العبك

٢ — كان يطرحه ويشد وثاقه ويضربه علي قدميه بخيزرانة

٣ — كان يسلط عليه الدش البارد فى الشتاء

٤ — كان يحبسه فى غرفة مددا مختلفة

وكان ينزع القشدة من اللبن الذي يعطى للشيوخ والعجزة ويضيف الى اللبن ماء واحيانا لايعطيهم غير الخبز والملح

والقضية الان قيد تصرف النيابة . ولكن يجب أن يكون فى هذا الحادث انذار لوزارة الداخلية لكى تزيد رقابتها وتضرب على ايدى امثال هذا الناظر . وفى السجون نظام يقضى علي وكيل النيابة بأن يزور السجن ويسأل المسجونين عن شكاواهم . فلم لا يكون مثل هذا النظام فى الملاجيء أيضا ؟

مبادىء الثورة لشباب الترك

افتتحت أخيراً جامعة استانبول الجديدة ومن أهم أقسامها معهد يقال له « معهد الثورة » وهو معهد يروم زعماء الجمهورية ان يلقنوا فيه شباب تركيا أفكارهم السياسية الاساسية ، ويستأصلوا شأفة ما بقى من أثر « العقلية العثمانية » القديمة من عقول الشباب . نعم ان شبيبة البلاد قد تشبعت بالمبادىء الجمهورية ولكن علي نمط غير علمى فاراؤها فى التاريخ التركى وفى الكفاح الذى نشأ فى الدولة الجديدة لم تؤسس على قواعد متينة . فاراد ولاة الامور فى انقره « بمعهد الثورة » ان يصلحوا هذا النقص وان يرسلوا الشبان الترك الى ميدان الحياة مصوغة عقولهم وفقا للافكار التى انشأت الثورة

وقد ابتدأ « تعليم تاريخ الثورة للشبان الترك » بمحاضرات هامة كان البادىء بها فى هذا الشهر وزير المعارف . ويتولى بعده القاء محاضرات أخرى رجال من أصحاب المقامات الرفيعة مما يدل على ان ولاة الامور فى انقره مهتمون أشد اهتمام بجعل هذا التعليم شطراً أساسيا من تربية كل تركى وكل طالب فى الجامعة . ومن هؤلاء العظماء الذين نيط بهم القاء محاضرات بعد وزير المعارف وزيران سابقان للحقانية وهما محمود أسعد بك ويوسف كمال بك ومنهم رجب بك رئيس حزب الشعب

ومما ورد فى أولى محاضرات حكمت بك وزير المعارف قوله أن للثورة التركية اربع مراحل وهى المرحلة العسكرية فالمرحلة السياسية . ثم المرحلة التشريعية التى اقتبست فى خلالها الحكومة قانونا حديثا للبلاد . وأخيراً المرحلة الحاضرة وهى المرحلة الاقتصادية وسيعالج كل مرحلة منها زعيم من رجال الحكومة حتى اذا انتهت المحاضرات يكون

الطالب التركي قد تكونت عنده فكرة عامة عن التغيير الذى طرأ علي تركيا ونقلها من السلطنة العثمانية الى الجمهورية الجديدة وتكون المبادىء التى أحدثت هذا الانقلاب قد رسخت فيه

نحو الفاشية

يتجه السياسيون من اليمين بل أحيانا من اليسار نحو الشك فى قيمة الحكومة الديموقراطية ولذلك يميلون الآن الى زيادة الحقوق التى للهيئة التنفيذية أى الحكومة ونقص الحقوق التى للهيئة التشريعية أى البرلمان . فمن ذلك أن المسيو تارديو أحد رؤساء الوزارة الفرنسية الماضية وضع كتابا يقترح فيه .

١ — منح رئيس الجمهورية الحق فى حل مجلس النواب بلا حاجة الى موافقة مجلس الشيوخ كما ينص الدستور الحاضر فى فرنسا

٢ — حرمان أعضاء البرلمان من اقتراح المشروعات التى تحتاج الى زيادة أو نقص فى نفقات الدولة وقصر هذا الحق على الهيئة التنفيذية

٣ — تقرير مبدأ الاستفتاء أى استشارة الشعب فى بعض الشئون الخطيرة

٤ — الاقلال من نفوذ الموظفين

٥ — منح النساء حق التصويت

وهذه المقترحات هى فى حقيقتها تنقيح للدستور ولذلك تحتاج الى اجتماع المجلسين

عدد الاطباء

يبلغ عدد الاطباء فى مصر ٢٩٧٦ منهم ٨٠٦ من الاجانب ومن هؤلاء نحو ١٣٠٠ طبيب موظف فى الحكومة أو فى الهيئات المنظمة . وهناك نحو خمسة فى المائة متقاعدون اما للتقدم فى السن واما لأنهم لا يشتغلون بالطب

ومن هذه الارقام يتضح للقارىء ان الطبيب المصرى الذى يعمل فى العيادة الحرة يلقى مزاحمة قوية جدا من الطبيب الاجنبى . ولهذا السبب يجب على الحكومة أن تمنع هجرة الاطباء الاجانب الي مصر لأن كل طبيب أجنبى يمارس الطب فى مصر انما يخطف

اللقمة من فم الطبيب المصرى . وهو مع ذلك لا يفضل الطبيب المصرى بل هو فى أغلب الاحيان دونه فى العلم والمران

فوز العمال فى مجلس لندن البلدى

فاز المرشحون العمال فى انتخابات المجلس البلدى فى لندن . وإيرادات هذا المجلس تبلغ نحو ٤٠ مليونا من الجنيهات أى انها تزيد على إيرادات الحكومة المصرية . ويعزى فوز العمال الى رغبة السكان فى هدم المنازل القديمة وقيام المجلس ببناء المنازل الجديدة . وكان المحافظون المستولون على المجلس غير نشطين فى حركتى الهدم والبناء

المرأة فى ميدان التعليم

قالت مجلة التربية الحديثة.

تحتكر المرأة الاميركية مهنة التعليم فى المدارس الابتدائية، وتكاد تحتكرها فى المدارس الثانوية ، ولها نصيب من المناصب الجامعية ، ولا يقل عدد النساء فى معاهد أمريكا على اختلاف أنواعها عن سبعمائة الف معلمة. غير أنه من الغريب أن يكون لهن نصيب لا يستهان فى الوظائف الادارية الكبرى، فيؤخذ من الاحصاء الاخير أنه من مديرى التعليم فى الولايات المتحدة يوجد ١٦ امرأة (أي ١٤ ٪ من مجموع مديرى التعليم) ، وبين رؤساء الجامعات ومديرى الكليات يوجد ٤٧ امرأة (٩ ٪ من المجموع) ، وبين جميع الوظائف الادارية الكبرى يوجد ٤٣٦٠ امرأة (أى ٢٩ ٪ من مجموع هذه الوظائف)

ثروة الهند

تبلغ ديون الهند البريطانية الآن ١٢٫١٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ روبيه . وهذه الديون عقدتها الحكومة الهندية فى أسواق لندن فالدائن هنا هو الجمهور الانجليزى والمدين هو جمهور الفلاحين من الهنود الذين تفرض عليهم الضرائب لسداد الاقساط

وقدمت الميزانية للسنة القادمة فقدرت النفقات بمبلغ ٧٠٥٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية منها ٤٤٥٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية تنفق على الجيش أى أكثر من نصف المصروفات

اللقمة من فم الطبيب المصرى . وهو مع ذلك لا يفضل الطبيب المصرى بل هو فى أغلب الاحيان دونه فى العلم والمران

فوز العمال فى مجلس لندن البلدى

فاز المرشحون العمال فى انتخابات المجلس البلدى فى لندن . وإيرادات هذا المجلس تبلغ نحو ٤٠ مليونا من الجنيهات أى انها تزيد على إيرادات الحكومة المصرية . ويعزى فوز العمال الى رغبة السكان فى هدم المنازل القديمة وقيام المجلس ببناء المنازل الجديدة . وكان المحافظون المستولون على المجلس غير نشطين فى حركتى الهدم والبناء

المرأة فى ميدان التعليم

قالت مجلة التربية الحديثة.

تحتكر المرأة الاميركية مهنة التعليم فى المدارس الابتدائية، وتكاد تحتكرها فى المدارس الثانوية ، ولها نصيب من المناصب الجامعية ، ولا يقل عدد النساء فى معاهد أمريكا على اختلاف أنواعها عن سبعمائة الف معلمة. غير أنه من الغريب أن يكون لهن نصيب لا يستهان به فى الوظائف الادارية الكبرى، فيؤخذ من الاحصاء الاخير أنه من مديرى التعليم فى الولايات المتحدة يوجد ١٦ امرأة (أي ١٤ ./. من مجموع مديرى التعليم) ، وبين رؤساء الجامعات ومديرى الكليات يوجد ٤٧ امرأة (٩ ./. من المجموع) ، وبين جميع الوظائف الادارية الكبرى يوجد ٤٣٦٠ امرأة (أى ٢٩ ./. من مجموع هذه الوظائف)

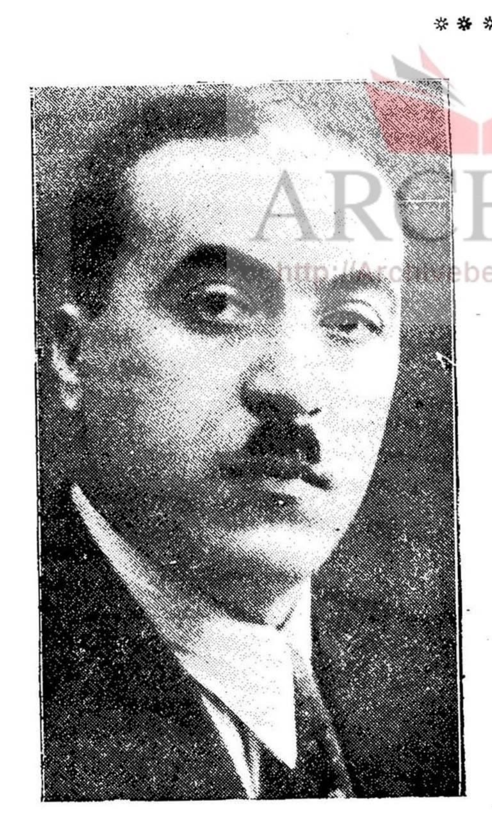
ثروة الهند

تبلغ ديون الهند البريطانية الآن ١٢٫١٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ روبيه . وهذه الديون عقدتها الحكومة الهندية فى أسواق لندن فالدائن هنا هو الجمهور الانجليزى والمدين هو جمهور الفلاحين من الهنود الذين تفرض عليهم الضرائب لسداد الاقساط

وقدمت الميزانية للسنة القادمة فقدرت النفقات بمبلغ ٧٠٥٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية منها ٤٤٥٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية تنفق على الجيش أى أكثر من نصف المصروفات

فى الاسكندرية . وهذه المصانع تصنع الحلويات والمكرونة والصابون . كما انه يدير مصنع الصاج المدهون الذى أنشأه محمد بدوى بك واخوان درة فى الاسكندرية . وقد راجت مصنوعات هذا المصنع رواجاً عظيما مع انه لم يمض على انشائه سوى سنتين . وجميع الآنية والاطباق التى تصنع فيه تباع الآن فى أنحاء القطر المصري ، كما تباع فى السودان وفلسطين والحجاز ، وقد عهدت اليه الحكومة صنع اللوحات التى تكتب عليها أسماء الشوارع وأرقام البيوت . وهذه الصناعة جديدة فى مصر وهي فتح جديد من فتوحات الوطنية الاقتصادية تزيد ثروة مصر وتنقص عدد العاطلين فيها من أبنائها والدائنين لها من الاجانب . وهذا الشاب هو الآن عضو فى مجلس ادارة الغرفة التجارية المصرية

***



أحمد مختار الناضورى افندى

من شبان الاسكندرية النابهين هذا الشاب احمد مختار الناضوري . ونحن نعرف عن بلائه فى الصناعة والتجارة المصرية شيئاً كثيراً . فقدكان ولا يزال يمدنا بالمعلومات الاقتصادية وكان له ضلع كبير فى حركة المصرى للمصرى . وهو يتجر الآن فى الاتومبيلات ولوازمها من اطارات وقطع تبديل وبنزين وزيوت ونحوها . وقد استطاع أن يثبت أمام المزاحمة الاجنبية وأن يحقق لنفسه نجاحا كبيراً . وبعض المعلومات الاقتصادية التى فى هذا العدد من المجلة قد استقيت منه . وليست هذه المرة الاولى التى نعتمد فيها علي معلوماته

***


حمزه محمد الشبراويشى افندى صاحب مصانع العطور

اصبح اسم الشبراويشى يجرى على كل لسان بالعطر الجديد الذى اخرجه بأسم « رائحة صفيه زغلول » وهو عطر يجد المتأنقون انه يمتاز على كثير من العطور الاوربية الغالية التى تباع بأضعاف ثمنه

وقد مضى على مصانع الشبراويشى عشر سنوات . ولم يكن بها حين ابتدأت سوى عاملين ولكنها تستخدم الان اربعين عاملا وتضع نحو ٤٥ لونا من العطور وهى منتشرة الان فى مصر والسودان وبعض الاقطار الشرقية حتى ان بعض التجار الاجانب يشترونها ويعرضونها بعد أن رأوا الحاح الزبائن فى طلبها

وفى هذا الشاب همة نادرة وعصامية عجيبة تستحق ان تكون قدوة يقتدى بها شبابنا . وهو يثابر علي عمله ويتنبه الي جوانب الرقى فيه فلا يفتأ يبتكر ويجود حتى يحقق الغلبة فى ميدان لم يكن واحد يظن ان المصرى يمكنه ان يفوز فيه امام السيل الجارف من واردات العطور من فرنسا وغيرها

* * *

نشر تقرير بنك مصر وهو مثل جميع التقارير الماضية يستحق الدرس من جميع المشتغلين بالاقتصاديات ، ومنه يتضح نجاح هذا البنك ونجاح جميع شركاته ، ويجب على جميع المتعلمين العاطلين أن يذكروا أن موظفى هذا البنك المصرى بلغوا فى العام الماضى ٥٩٨ موظف ولو كانت جميع البنوك والمتاجر فى مصر مصرية لما كان عندنا

شاب متعلم عاطل . فهل نتعظ من ذلك ونقبل على التجار المصريين الذين يستخدمون شبابنا أم نستمر فى معاملة المتاجر الاجنبية دون المصرية ، مع علمنا بأنها لا تستخدم المصريين ..؟

* * *



السيد أحمد الحمصانى

من التجار المصريين الذين يستحقون الثناء السيد أحمد الحمصانى وهو تاجر صانع له مخزن للبيع فى السكة الجديدة وله مصنع لنسج الاقمشة . وقد ورث هذه الصناعة عن والده ولذلك فان شهرة الحمصانى ترجع الى نحو خمسين سنة بل أكثر . وقد كان الى وقت قريب مختصاً بنسج الاقمشة الشرقية التى تصنع منها القفاطين والاحزمة والعباءات ونحو ذلك من الملابس البلدية ، ولكنه منذ سنوات قريبة شرع ينسج الاقمشة التى تصنع منها البذلة الافرنجية ، وقد نجح نجاحا باهراً فى ذلك وخاصة فى الاقمشة الحريرية . وهذا بالطبع الى نجاحه فى جميع الاقمشة التى تصنع منها المفروشات الغالية والستائر الثمينة ، وقد انتفع مصنعه بزيادة المكوس الجمركية على الواردات الاجنبية فصار يستخدم نحو ٤٠ عاملا مصريا بعد ان لم يكن عنده سوى ١٥ عاملا ، ونحن نرجو ولاة الامور قبل أن يفكروا فى خفض هذه المكوس أن يقصدوا الى المصانع المصرية ويسألوا عن عدد العمال الذين زادوا بعد أن حميت الصناعات المصرية عن سبيل الجمارك التى نقصت الواردات الاجنبية

تقدم العلوم والفنون

مقال الاستاذ عبد القادر حمزة

يرى القارىء في هذا العدد مقالا للاستاذ عبد القادر حمزة عن سرقات الادب الاغريقي من الادب المصرى القديم . وقد يتشكك البعض فى اتصال الاغريق بالمصريين ووقوفهم علي القصص والقصائد والثقافة المصرية عامة فلهؤلاء نقول ان هوميروس ذكر مدينة طيبة المصرية فى الياذته فى الجزء التاسع وفى الاشعار من ٣٨٢ الى ٣٨٤ فقال ما ترجمته :

« طيبة مدينة مصر التى تفيض بيوتها بالكنوز

« لها مائة باب ومن كل باب يخرج مائتا

« رجل أقوياء لأجل الحرب مدججين بالسلاح راكبين الجياد »

ونزيد على ذلك ان امون الرب المصرى المعروف قد ذكر أيضا فى القصائد الاغريقية لغير هوميروس

وقراء هذه المجلة يعرفون من مقالات كثيرة سابقة لنا أننا نؤمن بتسلسل الثقافة وان مردها الى مصر . فلا عجب ان تخرج القصص المصرية من مصر وتتفشى فى العالم وينتفع بها هوميروس . ويلوح لنا ان فى قصة السندباد العربية أثرا من قصة السائح المصرى . وقد لا تكون قصة روبنسون كروزو كلها اختراعا من مؤلفها الانجليزى . ولكننا لا نجزم فى هذا الموضوع بشىء

أذكي الحيوانات

يقول الدكتور بلير ان الحيوانات العشر الاولى فى الذكاء هى بترتيبها : البعام أوالشمبنزى . ثم الاورانج أوتان ثم الفيل ثم الغوريلا ثم الكلب الاليف ثم القسطر الذى يسمى فى اللغة الانجليزية Beaver وهو يعيش فى الانهار الشمالية فى آسيا وامريكا . ثم الفرس . ثم الاسد البحرى . ثم الدب . ثم القط

ويقول الدكتور بلير أنه لو اتيحت للبعام فرصة العيش والالفة مع الانسان كما اتيحت للكلب منذ آلاف السنين لرأينا عجبا من ذكاء البعام

النعامة فى روسيا

كان المظنون أن النعام يعيش فى الاقاليم الحارة فقط إذ هو من طيور افريقيا. ولكن الروس لا يظنون ذلك وقد اتضح ان ظنهم هو الصواب . فان للنعام طبقة دهنية كثيفة تحت الجلد تقيه حر افريقيا . وقد وجد أن هذه الطبقة كما تقيه الحر كذلك تقيه البرد . وهم لذلك يستوردونه ويربونه للطعام . فان النعامة تبيض نحو ١٦ بيضة هى ١٦ فرخا ضخما يتراوح وزن الواحد منه بين ١٢٠ و١٤٥ رطل . فكأن النعامة الواحدة تنتج طنا من اللحم فى العام الواحد . ومن هنا العناية بتربيتها

الشعوب والامراض

مما يلاحظ ان بعض الشعوب تتفشى بين أفراده امراض لاتتفشى بين الشعوب الاخرى . وهناك بالطبع مجال للخلط بين علاقة المرض بالاقليم وبين علاقته بالشعب . ولكن مع ذلك يمكن أن يقال بأن بين بعض السلالات البشرية وبعض الامراض علاقة . فان اليهود مثلا يكثر بينهم الديبيطس والسرطان والترهل والإختلال العصبى ولكنهم أقل تأثرا من غيرهم بالتدرن

والزنجى فى الولايات المتحدة أقل تأثرا بالملاريا والحصبة والحمى القرمزية والدفتريا من البيض . ولكنه يتأثر أكثر منهم بالتدرن والانفلونزا وأمراض القلب

ولا يزال الاسكيماويون يجهلون نخر الاسنان والتيفوئيد

وسكان الاقاليم الشمالية فى أوربا يجهلون الغوطر مع أنه يتفشى بين سكان الالب

دلالة الحائرين

القى الدكتور اسرائيل ولفسنون محاضرة عن موسى بن ميمون الذى أقام بالقاهرة مدة صلاح الدين . قال فيها أنه الف كتاب « دلالة الحائرين » باللغة العربية ولكنه كتبه بحروف عبرية . وواضح أنه تعمد ذلك خوفا من أن يشغب عليه العامة من العلماء

ويتهموه بانه يضلل الناس . والى الان لم يترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية مع أنه ترجم الى العبرية ثم الى اللاتينية فى النصف الاول من القرن الثالث عشر

وعلى ذلك بقي جمهور العرب يجهل هذا الكتاب نحو ثمانية قرون مع أنه كتب لهم فى الاصل ومع أنه ترجم الي العبرية واللاتينية . وهذه أسوأ شهادة عن حرية الفكر فى مصر أيام صلاح الدين ومنذ عهده الي الان

وفاة المثال مختار

وفى فى أواخر الشهر الماضى المثال مختار صاحب تمثال نهضة مصر فى ميدان باب الحديد بالقاهرة . وقد ولد الفقيد سنة ١٨٩١ بالمحلة الكبرى والتحق بمدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة حيث ظهر تفوقه فبعث به الامير يوسف كمال الى باريس سنة ١٩١١ لاتمام دراسة الفنون الجميلة ، وهناك تتلمذ على المثال الاستاذ كوتان وجعل يتقدم تقدما رائعا يبشر بمستقبل مجيد . وكان أول معرض له فى باريس فنجح نجاحا باهرا وتولى رياسة متحف جريفان ردحا طويلا من الزمن . وقد عرض فى السنين الاخيرة تمثاله البديع « عروس النيل » فى الصالون الكبير فاعجبت به الحكومة الفرنسية واعتزته وضمته الى متحف الفن الاجنبى فى قصر التويلرى وبذلك أصبح الفن المصرى ممثلا فى عاصمة النور

وقد سجل مختار نهضة بلاده وثورتها الاخيرة فى تمثال « نهضة مصر » الذى اقيم بميدان المحطة . وفيه تتجلى العزة القومية فى شكل فتاة قروية تعتمد على « أبوالهول » الذى تحفز للقيام بعدما أزيحت عن يديه الرمال . وكان مختار ينزع الي الفن المصرى القديم ولم تكن نزعته تقليدا وانما كانت استيحاء لتاريخ الفراعنة ونظراً لوحدة التاريخ المصرى القديم والحديث



المرحوم المثال مختار

المرأة والمنزل

تقدم المرأة الهندية

فى الهند الآن حركة نسوية مباركة ترمي الي تحرير المرأة الهندية التي أصبحت بفضل هذه الحركة ارقى مما كانت عليه قبل عشر سنين . وقد خاضت ألوف من السيدات غمار الجهاد الوطنى الذى قام به غاندى فحبسن وعذبن وتحملن آلاما كثيرة دون أن يبدين ضعفا او جبنا

وللنساء الان جمعيات كثيرة وعدة مجلات . وقد رأست جمعيتهن الكبرى أخيرا سيدة مسلمة من مدينة لكناؤ فالقت فيها خطبة بليغة نقتبس منها ما يأتي ليدرك القراء مجرى افكار الهنديات

قالت الرئيسة عن مسألة الحجاب :

« ارى بكل سرور ان اخواتي الهندوكيات قد نبذن الحجاب فاصبحن سافرات حرات ، ولكن اكثر المسلمات لا يزلن اسيرات الحجاب فى حين ان الاسلام لم يأمرهن بالحجاب والقعود فى البيوت عاطلات بعيدات عن خدمة الشعب والوطن ، وكل ما فعله الاسلام هو أنه منعهن من ابداء الزينة وتبرج الجاهلية . والمسلمون الذين دخلوا الهند فاتحين ، كانت نساؤهم سافرات ، غير انهم حجبوهن بعد الفتح لمصالح سياسية . وقد زالت تلك المصالح بزوال سلطانهم ، فيجب على المسلمات الان نبذ الحجاب »

وقالت عن مسألة ضبط التناسل ما يأتى :

« ان المصالح الاقتصادية والدواعى الصحية توجب على شعبنا ان لا يفرط فى النسل فان عدد نفوسنا فى ازدياد مستمر حتى أصبح خطراً كبيرا علينا ، ولكنى فى الوقت نفسه احذر من اتخاذ هذه الحركة وسيلة لفساد الاخلاق »

ولا ينسى القراء أن هذه افكار سيدة مسلمة لا هندوكية !

جنة الاطفال

انشأ الاستاذ فؤاد عبد الملك ملهى كبيراً للاطفال فى شارع ابراهيم (نوبار سابقاً)

الكتب الجديدة

النثر الفنى فى القرن الرابع

للدكتور زكى مبارك صفحاته ٧٦٨ من القطع
الكبير طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

الدكتور زكى مبارك أديب دؤوب ، طموح ، نزاع الى المعالى ، شغوف بالتجديد . وقد عنى قبل كل شىء بتجديد نفسه . فتمد نشأ أزهرياً قحاً ، ولكنه لم يشأ ان يقنع نفسه بالثقافة الازهرية . بل أخذ يتحايل على الزيادة عليها . وقد وجد فى أستاذه الدكتور طه حسين قدوة حسنة فراح يترسم خطاه . ولقى فى ذلك « من عنت الايام ما يقصم الظهور ويقصف العمر » على حد تعبيره فى فاتحة هذا الكتاب الذى يقول عنه « وهو كتاب شغلت به نفسى سبع سنين ، فان رآه المنصفون خليقاً بان يغمر قلب مؤلفه بشعاع من نشوة الاعتزاز فهو عصارة لجهود عشرين عاماً قضاها المؤلف فى دراسة الادب العربى والادب الفرنسى . . . . »

ونحن ننصف المؤلف رغم أنه « أحب ان يكون فى طليعة المنصفين لنفسه » فنقول ان كتابه يعد فتحا جديداً فى الادب العربي وان الدكتور قد خدم اللغة العربية خدمة جديرة بالاعجاب والتقدير من كل ناقد نزيه . فعسى ان يكون هذا الكتاب فاتحة عهد جديد فى حياة المؤلف فيلقى من الادباء والنقاد بعض ما هو جدير به من التقدير والانصاف بعد ان اهملوه ذلك الاهمال الشنيع

والكتاب مقسم الى ستة أبواب تناول الباب الاول منها « تطور النثر الفنى فى عصر النبوة الى القرن الرابع » والباب الثانى يعالج خصائص النثر الفنى فى القرن الرابع وبه فصول رائعة عن السجع والازدواج وتصوير الحياة العقلية والنسيب والوصف وما الى ذلك . وتكلم فى الباب الثالث عن كتاب الاخبار والاقاصيص ولعل أبدع فصوله هذا الفصل المبتكر الذى كتبه فى نشأة المقامات . وأما الباب الرابع فقد تناول فيه كتاب النقد الادبى كأبى الحسن الجرجاني وابن فارس وابن شهيد والباقلاني والآمدى والعسكرى

وأضرابهم واختص الباب الخامس بكتاب الآراء والمذاهب كأبي حيان التوحيدى وأبي علي بن مسكويه والخطيب وابن حزم والثعالبي وتكلم فى الباب السادس عن كتاب الرسائل كابن العميد وابن برد والببغاء والصاحب ابن عباد والخوازمي والصابى وبديع الزمان وغيرهم

والمجال هنا لايتسع للاسهاب فى عرض الكتاب ونقده فلندع ذلك الآن ولنعمد الى شخصية المؤلف فنتناولها بشيء من التحليل الوجيز . وعندنا أن مفتاح شخصيته هو ذلك الاهمال الذى لقيه من كبار النقاد والأدباء . فان ذلك الاهمال هو الأصل فى هاتين الصفتين اللتين تبرزان فيه بروزا واضحا . أعنى المن ، والاسراف . فان المؤلف كثير المن بجهوده فى خدمة الأدب ، شديد التمدح لآثاره وثمرات قلمه . وليس لذلك من سبب سوى أنه لم يجد من يقول فيه كلمة تقدير وانصاف ، فراح هو يقولها فى نفسه، ثم أخذ يكررها ويؤكدها حتى صارت عادة مألوفة !

وهو أحياناً يسرف ويشتط فى آرائه ، وهذا أيضاً راجع الى إحساسه بأنه مهمل من النقاد ، وأنه لايحتل المركز الذى يحسب نفسه جديرا باحتلاله ، فهذا الاحساس قد دفعه الى اجهاد نفسه فى اثبات شخصيته ، وتقرير ذاته فعمد التجديد والابداع لكى يلفت اليه الانظار

ولكنه لم يتئد فى تجديده وابداعه ، فأسرف وأغرب فى بعض أحكامه . وهو لم يتئد لانه كان مدفوعاً بعاطفة حادة عنيفة تشبه عاطفة الانتقام والتشفى !

ولا نحب أن نسهب فى التدليل على أن المؤلف الفاضل يسرف أحياناً في أحكامه وآرائه . فان المجال كما قلنا ضيق لايتسع للاستقصاء . فنكتفى بمثال واحد نأخذه عن هذا الكتاب الذى نحن بصدده

فهو فى معرض الكلام عن « روايات الأغاني » يقول : « . . . وانما أريد هنا أن أنص على ناحيتين فى الاصبهانى وكتابه لم أجد من تنبه لهما من الباحثين . ولهاتين الناحيتين أهمية عظمى فى فهم الحياة الأدبية ،وسيكون لهما أثر عظيم فى دعوة المؤلفين الى الاحتياط حين يرجعون الى كتاب الأغانى يتلمسون الشواهد فى الأدب والتاريخ

« الناحية الأولى خاصة بالأصبهانى : تلك الناحية هى خلقه الشخصى . فقد كان

الأصبهاني مسرفا أشنع الاسراف فى اللذات والشهوات، ولقد كان لهذا الجانب من خلقه أثر ظاهر فى كتابه. فان كتاب الاغانى أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون. وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصية، ويهمل الجوانب الجدية اهمالا ظاهرا يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاعتدال

« وهذه الناحية من الاصبهاني أفسدت كثيرا من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه، ونظرة فيما كتبه المرحوم جورجى زيدان فى كتابه تاريخ أدب اللغة العربية، وما كتبه الدكتور طه حسين فى حديث الاربعاء تكفى للاقناع بأن الاعتماد على كتاب الاغانى جر هذين الباحثين الى الحط من أخلاق الجماهير فى عصر الدولة العباسية، وحملهما على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر شك وفسق ومجون . . . الخ »

فأنت ترى أن المؤلف الفاضل ينسب الى الاصبهاني أنه تعمد ان يسرد الجوانب الضعيفة من أخلاق الكتاب والشعراء وأن يهمل الجوانب القوية منها. وعلة ذلك فى رأى الدكتور هى أن الاصبهانى نفسه كان ضعيف الاخلاق مسرفا أشنع الاسراف فى الملذات والشهوات.

ونحن نرى أن المؤلف يسرف فى هذا الرأى أشنع الاسراف! فهو يعلم ان كتاب الاصبهانى اسمه « الاغانى » ! وأن مؤلفه عنى قبل كل شيء بايراد المقطوعات والقصائد التى كان يتغنى بها العرب فى مجالس الشراب ومجامع السمر واللهو ثم عنى بعد ذلك بأخبار الشعراء الذين نظموا تلك القصائد والمغنين الذين تغنوا بها فجاء كتابه مزيجا من الجد واللهو والرزانة والمجون. وهذا هو أسلوب التأليف الذى كان شائعاً فى ذلك العصر. وإذا « كان كتاب الاغاني احفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون » كما يقول الدكتور زكى، فذلك لان العصر العباسى نفسه كان عصر خلاعة ومجون. فالاصبهاني لم يفعل اكثر من انه وصف عصره أصدق وصف. وفى هذا القدر الكفاية الآن

شهر زاد

تأليف الاستاذ توفيق الحكيم صفحاتها ١٦٢ من القطع الكبير طبعت بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

لانحسب أن أحداً من المثقفين فى مصر، بل فى الشرق العربي، يجهل اسم توفيق الحكيم مؤلف درامة « أهل الكهف » التى أجمع كبار النقاد على أن مؤلفها فنان

مطبوع . فهي أية النبوغ والذهن العميق الغواص . وشهرزاد أية أخرى من أيات توفيق الحكيم . ولسنا نشك أن كبار النقاد سيجمعون مرة أخرى على أنها قطعة فنية رائعة ، لاتقل جمالا عن أختها أهل الكهف

بدأ المؤلف قصة شهرزاد من حيث أنتهت قصة الف ليلة وليلة . ويعلم القارىء أن قصة الف ليلة وليلة تتلخص فى أن الملك شهريار كان قد فاجأ زوجته تخونه مع عبد فقتل الاثنين واقسم ان تكون له كل ليلة عذراء يقضى معها الليل ويقتلها فى الصباح ، فلما تزوج شهر زاد راحت تلهيه وتسليه بالقصص البارعة حتى اذا ادركها الصباح سكتت عن الكلام المباح فابقى الملك عليها الى الليلة التالية وهكذا حتى بلغت لياليها معه ليلة والف ليلة . وهنا تنتهى قصة الف ليلة وليلة وتبدأ قصة شهرزاد . ماذا حدث بعد انقضاء الالف ليلة وليلة ؟ كيف كانت حياة الملك شهريار مع زوجته شهر زاد بعد ان فرغت من قصصها ؟ هل عاد سيرته الاولى يشتهي الاجساد ومنظر الدماء أم أنه تغير واصبح رجلا آخر يرى الحياة كلها شيئاً تافها حقيرا بعد ان استمتع بكل شيء وزهد فى كل شيء ؟ هذه اسئلة لاتجد لها جوابا فى قصة الف ليلة وليلة ، ولكنك تجد الجواب فى هذه الدرامة العجيبة التى أبدعها عقل المؤلف النابغ

والمحور الذى تدور عليه القصة هي شخصية شهر زاد تلك المرأة العجيبة ذات الاعين الصافية التى « هى كل ما كان ، كل ما يكون ، كل ما سيكون ، قناعها لم يكشفه بعد انسان » فهى تحب ثلاثة رجال فى آن : تحب الملك شهريار حب العقل فيرى فيها عقلا كبيرا وتحب الوزير قمر حب القلب فيرى فيها قلباً كبيرا وتحب العبد حب الشهوة والجسد فيرى فيها جسداً جميلا ! كان الملك شهريار قبل ان يعرفها جسدا بلاقلب ، ومادة بلاروح ، فجاءت شهرزاد وخلقته من جديد فى الف ليلة وليلة . الم تفعل قصصها بهذا الهمجى مافعلته كتب الانبياء بالبشرية الاولي . أصبح شهريار يعاف الاجساد ويبغى الهرب من كل ماهو مادة . صار انسانا معلقا بين الارض والسماء

كاد السأم يقتله فاراد التحرر من سجن المكان وخرج يضرب فى الافاق على غير هدى ، ثم يعود فى النهاية الي قصره فيفاجىء زوجته شهر زاد تخونه مع عبد فلا يكترث ولا يحرك ساكنا لانه لم يعد رجلا بل انسانا معلقا بين الارض والسماء ينخر

فيه القلق . لقد حاولت شهرزاد بهذه التجربة مع العبد ان تعيده الي الارض ، وأن ترده رجلا ، فلم تفلح فقد ماتت الشهوة فى جسده

هذا هو الموضوع . أما الحوار فيكاد يبلغ حد الكمال لولا ما يشوبه من الاقتضاب ، والغموض فى بعض المواضع . ولا نحب أن نختم هذه الكلمة قبل ان نسجل اعجابنا بالاستاذ توفيق الحكيم فهو فنان ملهم يحسن الاهتداء الي المصادر العجيبة ، ويحسن استغلالها فى فن الدرامة فقد عمد الى قصتين شعبيتين هما أهل الكهف والف ليلة وليلة ، فسما بهما ، وأخرج منهما درامتين للخاصة . وهذا أعظم ما يطمح اليه فنان

« ع . . . »

كتب جديدة

ضاق نطاق المجلة عن نقد الكتب الآتية وسنتناولها عرضاً ونقداً فى العدد القادم .

١ ـ جولة فى ربوع الشرق الادنى ـ بين مصر وافغانستان تأليف السائح المصري الاستاذ محمد ثابت . صفحاته ٢٩٤ من القطع المتوسط طبع بمطبعة سعد مصر بالفجالة

٢ ـ المملكة الروحية للعالم الاسلامي للاستاذ مصطفى محمد ا . صفحاته ٢٣٤ من القطع الكبير طبع بمطبعة المدينة المنورة

٣ ـ فن القضاء تأليف الاستاذ حليم سيفين المحامي صفحاته ٣٢٤ من القطع المتوسط طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر

٤ ـ المجموعة الاولى من محاضرات جماعة الثقافة باسيوط صفحاته ١٥٢ من القطع المتوسط طبع بالمطبعة الاهلية باسيوط

٥ ـ تقويم التعليم فى مصر سنة ١٩٣٤ وضع الاستاذ احمد عطية الله صفحاته ٩٨ من القطع الكبير طبع بدار الهلال بمصر

٦ ـ فن التنفس تأليف محمد السكرى صفحاته ٧٠ من القطع المتوسط طبع بمطبعة محمد صلاح الدين بالاسكندرية

٧ ـ صحائف مطوية من تاريخ النوبة تأليف محمد كامل حته صفحاته مائة من القطع المتوسط طبع بمطبعة المنار بمصر

الصحة والمرض

مشروع الالتزام العلاجي للعلاج

أثار موضوع مشروع الالتزام العلاجي للفلاح الذى اقترحه الدكتور محمد خليل عبد الخالق اهتماما زائدا من الرأى العام ، وهذا المشروع لا يتعارض مع مشروعات مصلحة الصحة من حيث تعميم انشاء المستشفيات القروية بل هو بالعكس يساعدها

ومضمون المشروع هو العلاج الحكومى للفلاح الذى يقل ما يدفعه سنويا من الضرائب عن عشرين جنيها وجملة اصلاحات صحية أخرى تتلخص فيما يأتى :

يخصص لكل عشرة آلاف نسمة من سكان القرى طبيب يسكن بينهم للفحص عن مرضاهم وعلاجهم وصرف الدواء اللازم لهم بالمجان . ويقوم هذا الطبيب بالتبليغ عن الامراض الوبائية فيكشف أمرها سريعا بدل الاعتماد على زيادة الوفيات فى القرى كعلامة لوجود مرض معديها كما هو الحاصل الآن

كذلك يكتب شهادات الوفاة بعد معالجة المريض وبذلك تصير ذات قيمة من الوجهة الاحصائية وليس كما هي الحال الآن

وتعالج المستشفيات المرضى الذين يحولون عليها من أطباء مشروع الالتزام العلاجي فقط . وبذلك يقل الزاحم عليها ويكون عملها مجديا وذلك طبعا عدا علاج حالات الاسعاف ويخصص أطباء الصحة فى المراكز كل وقتهم للاعمال الصحية ولا يزاولون المعالجة فى الخارج حتى يقوموا بواجباتهم على الوجه الكامل

وقد أثار عرفان بك مدير البلديات سابقا فى أثناء مناقشة هذا المشروع موضوعا على جانب عظيم من الاهمية فقد حث على ضرورة النهوض بالفلاح ليس فقط من وجهة الاصلاح الصحى بل يجب تدبير المسكن الصحى والماء الصالح للشرب وتصريف الفضلات وزيادة موارد الرزق

فهذه العوامل من أهم الاسباب للامراض ويجب التكاتف على حل تلك المعضلات

وعلى كل حال فليس فى تنفيذ هـذا المشروع ارهاق للميزانيـة بل اقتصاد محض وفائدته محققة وسهلة التنفيذ وهو يفتح المجال لعدد عظيم من الاطباء لينتفع مواطنوهم بخبرتهم

تعمير النساء

مما يلاحظ ، وهو أيضا يثبته الاحصاء ، ان النساء يعمرن أكثر من الرجال مع انهن لايمارسن من الرياضة مثلما يمارسون ولا يمشن معظم الوقت فى الهواء الطلق كما يعمل الرجال . ولـكل رجل يبلغ المائة من العمر نجد عشرا من النساء يبلغن هذ العمر

وقد يكون فى هذه الظاهرة ما يبعث على التفكير فى قيمة الرياضة البدنية من الناحية الصحية . فان مما لاشك أن الرياضة تنشط الجسم ولـكن أليس هذا النشاط نفسه استهلاكا لقوى الجسم ؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن نواجه . فان المرأة تعيش كثيرا . والرجل لايعيش مثلها لانه يجهد نفسه بالعمل والرياضة . ويبدو لنا ان الاكثار من الرياضة ضرر لاشك فيه حتى مع مايجلبه الي كفاءات الجسم من التنبه وخاصة اذا كان العمل الاصلى يقتضى الحركة الكثيرة

ومما يلاحظ ان ابطأ الحيوان فى الحركة وهو السلحفاة هو أيضا أطولها عمرا اذ قد تتجاوز المائة من السنين . وقد تـكون حياة المرأة طويلة لأن حركتها بطيئة

اضطراب الحيض فى سن اليأس

يقصد بسن اليأس تلك السنوات التى تقع فى عمر السيدة بين ٤٥ و ٥٠ حين ينقطع الحيض . وهذا الانقطاع الاخير يرافقه اضطراب فى بعض النساء وان كان يمر سلبا هادئا فى البعض الآخر . وهـذا الاضطراب هو فى حقيقته سكرات الموت للمبيضين اللذين يجهدان آخر جهدهما فيفرزان عصارتهما التى تجرى فى الدم وتغمر جسم المرأة وأعصابها بما يضعها فى حال غريبة من الآلام الغامضة كالصداع والخفقان . وعند ما يمضى هذا الدور ينقطع الحيض فيضمر المبيضان والرحم

وهذا الدور يزداد خطورة إذا كان بالمرأة أمراض خبيثة سابقة بالمبيضين أو الرحم قد أهمل علاجها فى الماضى . والمرأة فى هذه الحال تحتاج الي الراحة والابتعاد عما يهيج الاعصاب أو يبعث القلق مع تبديل الهواء واستشارة الطبيب من وقت لآخر